بسم الله الرحمن الرحيم

رؤية جديدة لتحقيق الوحدة الإسلامية[1]

قراءة تحليلية لرؤية مفكري منظمة المنتدى الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المنتدى الإسلامي منظمة إسلامية، أنشأها في بريطانيا طلاب عرب قبل أكثر من خمسة وعشرين سنة، فانطلقت راشدة تقدم الخير للناس كل الناس، ورغم تركيزها الواضح على الدعوة والتعليم؛ إلا أنها لم تتخلف عن جوانب العمل الخيري الأخرى، كما أن القائمين عليها اعتنوا بقضايا الأمة الإسلامية، وأولوها عناية فائقة، ويبرز ذلك في الأدبيات الثقافية المتتالية التي تصدرها المنظمة، وأهمها مجلة البيان، والتقرير الارتيادي [الاستراتيجي] الذي تصدره المجلة سنوياً، علاوة عن الكتب والبحوث التي تصدر عن المجلة تباعاً..

من القضايا المهمة التي تتناولها المجلة وإصداراتها الأخرى؛ قضية تشتت المسلمين وتفرقهم وضعفهم واستئساد قوى البغي عليهم، كما تولي المجلة عناية واهتماماً بالأقليات المسلمة في العالم وتبرز معاناتهم وهمومهم، والتحديات التي تكتنفهم، وتعطي العلاقة بين المسلمين وبين الدول الإسلامية اهتماما كبيراً...

ولذلك نجد عرض قضية الوحدة الإسلامية عند كتاب مجلة البيان ومفكري المنتدى الإسلامي، مختلفاً عما يتم عرضه وتتناوله الجهات الإسلامية الأخرى، من حيث جدية التناول، والعملية في الطرح، والطرافة في العرض، لذلك أحببت استعراض هذه الرؤية باعتبارها جديدة قل أن نجد لها نظيراً بين تيارات العمل الإسلامي..

هذه الرؤية تمتاز بالواقعية كونها تنطلق من نظرة متأملة في الراهن الإسلامي، وتقدم معالجتها من خلال الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة، لكن المثال والمثالية لا يغيبان عن هذه الرؤية لأنها تعتمد أكثر ما تعتمد على إخلاص وصدق نوايا العاملين في الحقل الإسلامي، وتتطلع إلى بروز قدرة حسنة على التكيف عند أفراد الأمة بل قادتها؛ وتتطلب قدراً من (التنازل عما هو هامشي وصغير ومؤقت، في سبيل تحقيق ما هو أساسي وكبير ودائم، وهذا يتطلب وعياً تاماً بمكاسب الوحدة وتكاليفها، بل إن الأمر يتطلب في بعض الأحيان موقف تضحية من قبل بعض الشعوب والجماعات كما يضحي الشهيد بحياته، ويتنازل عنها في سبيل نصرة دينه ورفعة أمته، ولن يقدم على هذه التضحية إلا المؤمن الذي تمكن الإيمان من قلبه؛ فالفهم العميق والإيمان المكين شرطان لا بد منهما لحصول ذلك، والنقص فيهما أو في أحدهما قد يؤدي إلى تصارع فئتين دعواهما واحدة[2])...

لن يستغرقني الحديث على تعريف الوحدة وأهميتها عن المحاور التي رسمتها لعرض رؤية مفكري المنتدى وكتاب مجلة البيان، وإنما سأشير إلى أهمية الرابط بين المسلمين وهو الانتماء للإسلام، ثم أتعرض للجماعات الإسلامية إيجابياتها وسلبياتها ودورها في تحقيق الوحدة، ومكانتها إذا توحد المسلمون، ثم سأتحدث عن منهج مفري المنتدى لإعداد من يقود الوحدة، وهم العلماء والدعاة الذين يصلون إلى الجماهير ويحركونها، ويبعثون فيهم الأمل والتطلع للغد المشرق، لأن أول ما يبدأ به مشوار الألف ميل هو خطوة إيجاد قيادة فاعلة ومؤثرة ومدركة لعظمة المهمة الملقاة على عاتقها، ومرجعية علمية وعملية واحدة، تكون قدوة ومثالا للمتطلعين من جيل الأمة الناهض..

ولا شك أن الانتقال من عهد الحركات أو الجماعات الإسلامية إلى عهد تفاعل جماهير المسلمين كلهم بقضاياهم، يتطلب وجود نواة صلبة قادرة على تبنّي الأطر الوحدوية وتعزيزها، وتمتلك في الوقت ذاته القدرات والإمكانات التي تجذب دول العالم الإسلامي وشعوبه نحوها، وإذا علمنا أن الظواهر الكبرى لا

١- ورقة علمية نشرت في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أفريقيا العالمية..

٢- مجلة البيان – العدد [٧٢] - مقال للدكتور عبد الكريم بكار بعنوان: وحدة الأمة: معوقات وإمكانات - ص: ١٩ وما بعدها.

يمكن أن تنشأ إلا حول نواة تَنْشدّ إليها وتتحدد من حولها أدركنا الصعوبات التي تواجه الأعمال التوحيدية في العالم الإسلامي، وهذا ما يتطلب المرحلية والتدرج على مستوى المؤسسات وعلى مستوى الأقاليم.. ويمكن اعتبار الكتل الإقليمية خطوات إيجابية على الطريق إذا قامت على النهج الإسلامي، وكانت مفتوحة، تشجع الانضمام إليها، وتنمي في الوقت ذاته أدبيات الكل الإسلامي المنشود...

وسيكون العلماء ومن التف حولهم من المؤمنين بقضية الوحدة النواة الصلبة التي تنشد إليها جماهير المسلمين ليحصل الانتقال إلى مرحلة ما بعد الحزبية والجماعات، مرحلة حركة المسلمين بدلا عن الحركات الإسلامية..

سيأتي الكلام عن هذه الرؤية مقسماً على ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: رابطة الإسلام فوق كل الانتماءات.

المبحث الثاني: مقترح عملي للانتقال بالجماعات المتعددة إلى جماعة المسلمين الواحدة.

المبحث الثالث: خطط لإعداد القيادات الدعوية وإبرازها لقيادة الجماهير.

المبحث الأول
رابطة الإسلام فوق الانتماءات الأخرى

المطلب الأول: العالم العربي والإسلامي ومقارنته بالتكتلات الإقليمية والمصلحية.

إن التجمع والتكتل بين مجموعات البشر من طبائع الحياة الإنسانية وضروراتها، وأهميته في اكتساب القوة أو الحفاظ عليها من البدهيات في الفكر السياسي والتخطيط الاستراتيجي، وقد فرضت طبيعة العصر التوجه نحو التكتل وتكوين المجموعات السياسية والاقتصادية، والتحالفات العسكرية والإستراتيجية، حتى سُمِّي هذا العصر بـ(عصر التكتلات).

وقد قطعت كل المجتمعات والدول -ما عدا المجتمعات والدول الإسلامية- أشواطًا على طريق التكتل والتوحد والتعاون، سواء تحت أيديولوجيات أو مَصْلَحِيّات، متقاربة أو متباعدة، وحدث التعايش والتعامل بينها على الرغم من التناقضات الجذرية بين مكوناتها في كثير من الأحيان.

لقد أخذت التكتلات أشكالاً متعددة في العالم المحيط بنا، فهناك تكتلات بين الدول، وتكتلات بين القوى داخل الدول، وهناك تيارات ومؤسسات تتعامل بمنطق التكتل والتكامل: محليًّا أو إقليميًّا أو عالميًّا.

فعالميًّا وعلى المستوى السياسي والاقتصادي، نشأ العديد من أشكال التكتل والتجمع، فقد شكَّل الأوروبيون الاتحاد الأوروبي، الذي جاء نتاج عملية تعاون واندماج، بدأت عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية بين ست دول، وما زالت الدول الأوروبية تلتحق بهذا الاتحاد، ولم يمضِ نصف قرن حتى بلغ عدد دول الاتحاد الأوروبي سبعة وعشرين دولة، تتعاون فيما بينها على ثلاثة أسس:

أولها: وحدة المجتمع الأوروبي، بما في ذلك وحدة السوق والعملة.

والأساس الثاني: وحدة المصالح السياسية الخارجية والدفاعية.

والأساس الثالث: التعاون في المجال الأمني والشؤون الداخلية[٣].

وهناك أيضًا تكتل الدول الصناعية السبع الكبرى: أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا واليابان، ثم انضمت إليها روسيا في أواخر عهد الاتحاد السوفييتي، وقد كانت نشأة هذه المجموعة ردًّا على توحد الموقف العربي في حرب أكتوبر ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف، باستخدام سلاح البترول؛ حيث تزعمت فرنسا الدعوة لتكتل العالم الصناعي -المسيحي في غالبيته- لمواجهة أيّ تحديات من الدول المصدِّرة للنفط، وعلى رأسها الدول العربية[٤].

وقد بدأ نشاط الدول الثماني الصناعية في المجال الاقتصادي، ثم توسع إلى الجانب السياسي؛ ولأن السياسة والاقتصاد متداخلان فيما بينهما؛ فإن كل أشكال التنسيق والتعاون الاقتصادي ينعكس في النهاية على التوجهات السياسية...

وإذا كانت التحالفات والتكتلات بين غير المسلمين، تدفع إليها أطماع السيطرة المادية، والجشع الدنيوي، والاستعلاء العنصري والثقافي؛ فإن الإسلام قد دعا إلى التوحد والتعاضد والتعاون لغايات سامية، تجمع مصالح الدين والدنيا، وتحقق الأغراض الشريفة لاستخلاف الإنسان في الأرض، ولهذا جاءت الدعوة في نصوص الوحي موجّهة للمسلمين بأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وبأن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وبأن يكونوا كالبنيان المرصوص، وبألا يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، ونحو ذلك من الهِدَايات الإسلامية في

---

٣ - لمزيد تفصيل انظر مقالا بعنوان: ما بعد الحزبية من فقه الضرورة في العمل الإسلامي -للدكتور عبد العزيز مصطفى كامل التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان – الإصدار الرابع – ١٤٨هـ - ٢٠٠٧م صفحة: ٤٢١.

٣- لمزيد تفصيل في هذا الخصوص انظر رسالة قيمة بعنوان: نفط المسلمين آليات جديدة للصراع- لمحمد جمال عرفة- إصدار المركز العربي للدراسات الإنسانية- سلسلة رؤى معاصرة- الإصدار الخامس.

الاجتماع والاعتصام والتكتل على الخير، كل هذا ليكون شعار تعاونهم هو (البر والتقوى) ... بينما شعار تجمع غيرهم في الغالب هو (الإثم والعدوان)[٥].

لقد تُرْجِمَ هذا المفهوم على أرض الواقع بنشوء الكيانات الإسلامية الجامعة، بدءًا من دولة المدينة التي أقام الرسول ρ دعائمها؛ حيث أصبحت وعاءً يجمع غايات ومقاصد الشريعة كلها؛ لتصب في مصلحة الأمة الإسلامية بل الخليقة الإنسانية، ثم تتابعت بعد دولة المدينة كيانات إسلامية ذات أدوار عالمية، وذلك ما عُرف بدول الخلافة الإسلامية؛ حيث يمثل نظام الخلافة الإسلامية -من الناحية النظرية- التجسيد الصحيح لدور الإنسان في الاستخلاف في الأرض، جامعًا بين ما يُصلح الدين والدنيا معًا، وقد كانت مرحلة الخلافة الراشدة أصدق تمثيل لذلك، ثم تبعتها الخلافة الأموية، ثم الخلافة العباسية[٦]، ثم تفرقت الكيانات الإسلامية الجامعة لتتوحد من جديد تحت راية الخلافة العثمانية، التي كانت من أبرز الكيانات العالمية في التاريخ، حيث غطت أراضي شاسعة في القارات الثلاث الكبرى: آسيا وأوروبا وإفريقيا، وامتدت لأكثر من خمسة قرون من عام تسعة وتسعين وستمائة هجرية الموافق تسعة وتسعين ومائتين وألف ميلادية، إلى عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق أربعة وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية[٧].

لقد كان للمسلمين إذن كيان عالمي سياسي حتى أوائل القرن الميلادي المنصرم، في شكل اتحاد تقوده تركيا، وهو اتحاد كان قوة وحماية للمسلمين طيلة تلك القرون.

وقد جمع الله بدولة الخلافة العثمانية شتات المسلمين، ووحَّد صفوفهم في مواجهة تحديات وتعديات الأوروبيين والروس والهندوس وأحفاد المجوس، حيث ظل هؤلاء جميعًا يتناوشون هذا الكيان الإسلامي في مواجهات متواصلة، كانت تُرَدُّ وتُرْدَعُ في الغالب، حتى كثرت الجراح في النهاية على ذلك الجسد، واجتمعت عليه العلل، إلى أن صار الأوروبيون يطلقون عليه وصف (الرجل المريض)!.. ولم تدع ذئاب أوروبا ذلك الجسد المنهك للموت؛ فضلاً عن التعافي، بل تكتلت وتحالفت للانقضاض عليه وتقسيم أجزائه حيًّا، بدءًا من الأطراف وانتهاء بالقلب في اسطنبول، التي احتلها الإنجليز، بعد أن كانوا قد تقاسموا مع الفرنسيين والإيطاليين والألمان والهولنديين وغيرهم أوصال العالم الإسلامي والعربي، الذي كان تحت حماية الدولة العثمانية[٨].

ومنذ أن مُزِّق العالم الإسلامي، وأعداؤه لا يدّخرون جهدًا في إيصاله إلى المزيد من التمزق والتفرق والضعف، فما من محاولة للنهوض على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، إلا وتُواجَه بالتآمر المفضوح والتحرش المعلن، لكن هذه الأمة ظلت عصية تمانع وتدافع، وتخرج منها أصوات الداعين للعودة، ومحاولات الناهضين من الكبوة، وقد تمثل ذلك في نشأة حركات وجماعات في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي منذ الربع الأول من القرن العشرين، هي محاولات للعودة بالأمة إلى طريق النهوض والتوحد من جديد.

وقد أدى تمزق العالم العربي والإسلامي بالمجتمعات والدول الإسلامية والعربية -وعلى الرغم من كثرة العوامل المشتركة بينها في النواحي الدينية والثقافية والجغرافية والمصلحية-، إلى ابتعادها كثيراً عما تفرضه الضرورة -دينيّاً ودنيويّاً- من تقارب وتعاضد وتجمع، رغم ما يحيط بهم من كيانات متوحدة متآزرة، بل الكيانات التي تصلح أن نواة للتوحد هي أضعف من أن تقوم بهذا الدور، بل هي أضعف من أن تقوم بمهمة الدفاع عن القضايا الرئيسية مثل قضية فلسطين، أو أوضاع الأقليات المسلمة المضطهدة في آسيا وأوربا وغيرها فلماذا؟..

---

٥ - لمزيد تفصيل عن هذه القيم انظر: القوة العسكرية وحسم الصراعات، الولايات المتحدة نموذجاً – من إصدارات المركز العربي للدراسات الإنسانية – إعداد بشير عبد الفتاح –ص: ١١- ١٩، وموسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم: ٤٥٣/٢.

٦ - انظر: موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم: ٣٩٧/٢-٤٣٨.

٦- لمزيد تفصيل عن الدولة العثمانية انظر: الفتوحات الإسلامية – لأحمد زيني دحلان- ١٠٩/٢- ٢٢٧.

٨ - انظر: الغرب أصل الصراع – من إصدارات المركز العربي للدراسات الإنسانية – إعداد عامر عبد المنعم- ص: ٣٨-٣٩، وموسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم: ٨٠٣/٢- ٨٣٥.

المطلب الثاني: حكم لزوم جماعة المسلمين.

تتمثل فريضة الوقت في لزوم جماعة المسلمين، فإن هذا هو المخرج من الفتنة في واقعنا المعاصر، والدليل على ذلك أن النبي ρ قد جعلها المخرج من الفتنة في حديث حذيفة حينما سأله عن الموقف عند اضطراب الفتن فقال له: (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ[٩])، ولم يجعل لذلك من بديل إلا الاعتزال حين اشتداد الفتن وغياب جماعة المسلمين وإمامهم، ولو أن يعضَّ على أصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على ذلك[١٠]، وليس بعد حكمه ρ حكم، ولا بعد بيانه عليه الصلاة والسلام بيان..

إن لزوم الجماعة تكليف تخاطب به التجمعات كما يخاطب به الأفراد، ويتحقق في الواقع باتباع ما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد والتحليل والتحريم من ناحية، والتزام الطاعة في ذلك لأهل الحل والعقد من المسلمين إن انعقدت لهم راية، أو السعي لإنهاضهم لإقامة الجماعة، وإقدارهم على ذلك، وحملهم عليه بكل سبيل يتاح من ناحية أخرى[١١]، فالواجب على المسلم أن يبحث عن تجمع يلتزم بمبادئ الإسلام، (فإن بحث ولم يجد فعليه أن يدعو إلى الحق وإلى إنشاء مثل هذا التجمع، والسلف كانوا يدعون غيرهم في البلاد النائية إلى إقامة مذهب أهل السنة، وتكوين جماعة[١٢])، مثال ذلك ما ذكره الشيخ أسد بن موسى المعروف بأسد السنة[١٣] للقائد المجاهد أسد بن الفرات[١٤]، وقد كان يتولى أمر المسلمين في جزيرة صقلية، وهناك شرع في نشر السنة فأوصاه بقوله: (اعلم-أي أخي- أن ما حملني على الكتابة إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم، فأذلهم الله بذلك وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر–أي أخي- بثواب ذلك واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله... فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة، كما جاء الأثر فاعمل على بصيرة ونية وحسبة[١٥])...

والفكر الإسلامي يتسع لأكثر من ذلك؛ فإذا شغر الزمان عن الإمام، وخلا عن حاكم يحمل الأمة على مقتضى النظر الشرعي، وأقيمت الحكومات على أساس العلمانية وتحكيم القوانين الوضعية، فالأمور موكولة إلى أهل الحل والعقد في الأمة، وهم أهل العلم وأهل القدوة، الذين يفزع إليهم في المهمات والمصالح العامة، ممن لا يزالون على أصل التزامهم بالإسلام وإيمانهم بشريعته، وإنكارهم على الخارجين عليها، ودعمهم للدعوة إلى تحكيمها[١٦]، فإذا اجتمعت كلمة هؤلاء وانتظم أمرهم حول متبوع مطاع؛ صار اتباعهم

٨- صحيح البخاري مع الفتح- كتاب الفتن- باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟- رقم:٦٩٣٠ - ١٤/ ٥٣١.. وصحيح مسلم بشرح النووي- كتاب الإمارة- باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن- رقم:٤٧٤٠- ١٢/ ١٨٦، واللفظ له، وسنن ابن ماجه- كتاب الفتن- باب العزلة- رقم:٤٠٦٥ - ٢/ ١٣١٧

٩- فسر العلماء العض على أصل شجرة بأنه: إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان.. وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر (عَضُّوا عليها بالنواجِذِ) سنن الترمذي ١/ ٤٤. ويؤيد الأول قوله في الحديث الآخر (فإنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَداً مِنْهُمْ) مسند الإمام أحمد ٦/ ٥٥٩. وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور.. فتح الباري ١٤/ ٥٣١..

١٠- انظر: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر- ص:٢٣٧

١١- معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة- لمحمد عبد الهادي المصري- ص: ١٩٧

١٢- أسد بن موسى: هو الإمام الحافظ الثقة كان من سلالة خلفاء بني أمية حيث ولي جده إبراهيم الخلافة لشهرين ثم خلعه مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين، قال عنه البخاري: هو مشهور الحديث ، يقال له أسد السنة، واستشهد بحديثه. توفي بمصر سنة ٢١٢هـ . انظر: سير أعلام النبلاء- ١٠/ ١٦٢-١٦٤.

١٣ - أسد بن الفرات: هو الإمام العلامة القاضي مقدَّم المجاهدين، ولد بحران سنة ١٤٤هـ ذهب مع أبيه إلى القيروان في الجهاد، وكان أبوه من أعيان الجند، وحصلت لأسد في إفريقيا رياسة وإمرة، وأخذوا عنه وتفقهوا به وكان من رواة موطأ الإمام مالك، وتنسب إليه الرسائل الأسدية، وهي ليست محل ترحيب عند المالكية لمحنة حصلت له مع ابن القاسم (من شيوخ المالكية)، أدرك الأجل أسد بن الفرات وهو أمير لجيش في جزيرة صقلية سنة ٢١٣هـ.

١٤- البدع والنهي عنها – لابن وضاح ص: ٥-٧.

١٥- وصف العالم الذي يناط به هذا الدور بالإمام الفقيه انظر: مقالا بعنوان: مبدأ ولاية الفقيه عند أهل السنة وتطبيقاته- للدكتور بسطامي محمد سعيد- مجلة أفكار جديدة- تصدر عن هيئة الأعمال الفكرية [السودان] - العدد الرابع عشر- مارس ٢٠٠٦م- ص: ٥- ٣٧.

فريضة محكمة، وصار السعي من خلالهم لإقامة الدين واجبا متعينا لا حيلة لأحد في دفعه، وهؤلاء حينئذٍ يمثلون الجماعة التي جاءت النصوص بلزومها، وحذرت من مفارقتها وتوعدت الخارج عليها[١٧]...

أما إذا تفرقوا وأصبحوا جماعات كما هو الشأن اليوم؛ فإن الإنصاف يدعونا للقول بأن في كل خير، فالواجب المحافظة على أخوة الإيمان، ولا يجوز ولا يسوغ غمط أحد حقه، أو إخراجه من دائرة الإسلام أو السنة؛ بسبب الاختلاف في أمور هي في كثير من الأحيان اجتهادية، كما يسوغ لأحد من المشفقين أن يزعم أنه لا جدوى ولا حاجة لوجود الجماعات، لأن في مصادرة مشروعية هذه التجمعات الدعوية تفريط منكر، ما داموا معتصمين بالكتاب والسنة، ويحفظون حق الأخوة...

إذن وجود وبقاء الجماعات الإسلامية المتعددة سائغ ومقبول مادامت ملتزمة بشعار والإسلام، واقتنع المنتمون إليها بأن تعددها (تعدد تنوع وتخصص؛ بأن اتفقت هذه الجماعات فيما بينها على أن تتكامل في أداء فروض الكفايات[١٨])، كالدعوة وإصلاح المجتمعات، والعناية بالسنة وتنقيحها، وتحقيق العلوم وتقريبها، والجهاد في سبيل الله، وإصلاح العمل السياسي ومقارعة الجبابرة والعلمانيين، والعناية بتطييب النفوس وتزكيتها... (ولو كان الأمر على هذا النحو، وتم الاتفاق بين هذه الجماعات على ذلك، وقسموا العمل فيما بينهم على هذا النحو، وكفوا ألسنتهم عن التقاذف فيما بينهم بالتهم والمناكر، وجمعتها المجالس للتنسيق والتعاون وتبادل الرأي، وجددوا مفهوم الأمة في العمل الإسلامي، ودعوا إلى نبذ التعصب والتحزب الجاهلي الذي يربط الولاء باسم أو رسم دون الكتاب والسنة؛ لو فعلوا ذلك لهُدوا إلى سواء السبيل، ولامتهد السبيل للقبول المرحلي بهذا التعدد، باعتباره خطوات مرحلية جادة في الطريق إلى جماعة المسلمين، أما التعدد الذي يتمزق به ولاء الأمة بين هذه التجمعات، وتتهارج به الصفوف، ويتلاعن به الناس، فهو وبال ونقمة، يتحول به الواقع إلى فتنة، ويتمهد به السبيل إلى القول باعتزال الجميع[١٩])...

ولذلك لا بد للعاملين في حقل العمل الإسلامي من التأدب بأدب الخلاف، والتعامل مع بعضهم بعضا باعتبار أن الخلاف طبيعة إنسانية يتوقع حدوثها في كل المجتمعات، ولكن القيم التي تحكم التعامل بين المجتمعين في الإطار الواحد هي التي تحدد مواقفهم حيال هذه الظاهرة الإنسانية، وبالنسبة لنا معشر المسلمين فإن قيمنا تبين هذا الأمر بما لا حاجة لمزيد عليه من ثقافات أخرى، يقول ابن قيم الجوزية: (وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه، لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحدا والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافا لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة[٢٠])، هذه هي القيم الإسلامية التي تحلى بها الصحابة، وحدة الأصل والغاية والمنهج، وبذلك استحقوا أن يوصفوا بالسنة والجماعة، وأصبح نهجهم هو المثال والقدوة التي يقتدى بها..

إن التفريط في الحض على هذه القيم أو التمسك بالجماعة والائتلاف، والنهي عن الفرقة والاختلاف، والتهاون في إشاعة هذه المفاهيم بين الأتباع والمريدين، خطيئة كبرى وجريمة منكرة، فإن كان مرد ذلك إلى التعمد حرصا على زعامات ومواقع، فهو خيانة عظمى لأمانة الإسلام، ولأمانة هذه الألوف المؤلفة من المسلمين ممن وثقوا بقيادتهم، وسلموا باجتهاداتهم، وأما إن كان لغياب الوعي بفريضة الوقت وضرورة الاجتماع؛ فتلك مصيبة تؤكد أن من يتولى قيادة هذه الجماعات في وادٍ وهموم الأمة في وادٍ آخر..

١٦- الثوابت والمتغيرات - ص: ٢٣٧ - ٢٣٨

١٧- الثوابت والمتغيرات - ص: ٢٤٣

١٨- الثوابت والمتغيرات - ص: ٢٤٤

١٩- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – لابن قيم الجوزية- ٢/ ٥١٩

إن الخطورة كل الخطورة، ما نراه اليوم من صورة ولايات حزبية متعددة ومتباعدة، لكل منها رأس مفرد ومنهج منعزل، يوالي الأتباع عليه ويعادون، فإن هذا هو ما يُحدث الحزازات؛ وينشئ العصبيات، ويغذي المشاحنات، حيث يؤدي التكتل على ذلك الوجه إلى ألوان من التشرذم والتفرق والتنافس في غير عمل الآخرة[٢١]، وهذا ما وضع الجماعات الإسلامية في مأزق المفرق لأمته، المشتت لشملها فعادت الجماعات كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وعليه نقول: لقد أصبح قادة الجماعات الإسلامية اليوم في مفترق طرق:

- إما التكامل والتراحم وإصلاح ذات البين فيرشد المسار، ويستدير الزمان، وتعاد الكرَّة على الأعداء.
- وإما التهارج والتنازع وفساد ذات البين، فيفقدوا شرعية قيادتهم، وشرعية اجتماعهم، وشرعية أعمالهم التي تصبح يومئذ ضرارا وتفريقا بين المؤمنين[٢٢]..

فإذا تكاملت وتعاونت واحترمت كل جماعة تخصص الأخرى وتعاونت معها في الميادين المشتركة سعيا لتحقيق ما يصلح الأمة؛ استحقت وصف: الحركات الخادمة للإسلام بامتياز، ويتمثل فيها حينئذ منهج أهل السنة والجماعة:

- ✓ فهي في التزامها في مرحلة البناء بالسنة قولا وعملا، وتنشئة رجالها على ذلك، يتحقق فيها وصف أهل السنة..
- ✓ وهي في وقوفها في مرحلة الدفاع، ومجاهدة أعداء الله عند دائرة المذهبية الإسلامية بالمعنى العام... يتحقق فيها وصف الجماعة، لما تحرص عليه من جمع كلمة الأمة في مرحلة المواجهة، كما يتحقق وصف الجماعة على كلا المعنيين:
- ❖ العلمي: المتمثل في الكتاب والسنة على رسم منهاج النبوة (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي[٢٣]).
- ❖ العضوي: المتمثل في الدعوة إلى اجتماع الأمة بمختلف طوائفها حول الأئمة، أو حول أهل الحل والعقد عند خلو الزمان من الأئمة، واشتراك الجميع في الدفاع عن الإسلام وإقامة دولته، وبهذا تصبح هي السفينة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وتصبح المخرج من الفتنة في هذه الأحوال النكدة[٢٤]..

المطلب الثالث: مقترحات لتحقيق المزيد من التقارب والتكامل بين الجماعات.

إن التنسيق بين الأعمال، وشيوع التناصح والتكامل بين القائمين عليها هو الهدف المنشود في هذا المجال، خاصة في القضايا محل الاجتهاد، في ضوء ما تقتضيه الحاجة وترجحه الأدلة، ولهم معاودة النظر فيها كلما جد من الأمور ما يستوجب ذلك.

فإذا لم يتيسر التقارب بين فصائل العمل الإسلامي لبعد الشقة بينها خاصة في قضايا السياسة والجهاد؛ فلا أقل من أن يتم على مستوى الفصائل المتقاربة والتجمعات المتشاكلة، لأن ما لا يدرك كله لا يترك جله، والميسور لا يسقط بالمعسور، على ألا تكون هذه المحاور الجديدة ضرارا وتفريقا بين المؤمنين، يراد بها تجييش بعض هذه الفصائل ضد بعضها الآخر، فإن هذا يعني العودة إلى الوراء، إلى العصبية

٢٠- انظر: التقرير الاستراتيجي- الإصدار الرابع- صفحة: ٤٢٥.

٢١- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر- ص: ٣٥٠

٢٢- سنن الترمذي- كتاب الإيمان– باب ما جاء في افتراق هذه الأمة- رقم: ٢٧١١- وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ مُفَسَّرٌ غريبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ- تحفة الأحوذي: ٧/ ٣٧٨،

٢٣- انظر: الثوابت والمتغيرات- ص: ٣٢٢

الجاهلية والتهارج المنكور، وهو الذي لا يحل في دين الله طرفة عين، وإن تأول المتأولون وجادل المجادلون.

وهنا نقف أمام مبادرة من أحد المفكرين في المنتدى يقترح فيها بعض الصيغ المقترحة التي ستسهم في تحقيق التقارب الإسلامي ومنها:

تبادل العلماء بين هذه الفصائل والجماعات.

فما من جماعة من الجماعات إلا ولها تفوق ظاهر في جانب من الجوانب، فإذا تجردت النفوس من حظوظها، وتمحَّض الولاء والاتباع لله ورسوله؛ أمكن لكل جماعة أن تدعو أهل العلم والتخصص في بقية الجماعات للدرس والمحاضرة، فيما تخصصوا فيه وبرزوا في العلم به من فروع الشريعة، وذلك كما يستقدم الخبراء في أي مجال من المجالات، فيحققوا بذلك هدفين:

١. إثراء أتباعهم بهذه المعرفة، وإنماء رصيدهم من الدراية بالشرع أو المعرفة بالواقع، أو من كليهما.

٢. تحقيق خطوة إلى الأمام، في الطريق إلى التقارب والتكامل وإقامة جماعة المسلمين.

وهذه الصيغة على بساطتها وعفويتها، إلا أنها عميقة الأثر وسريعة النتائج بإذن الله.

الاشتراك في بعض الإصدارات:

وأدنى ذلك أن يقدم الكتب التي تصدرها جماعة، أحد المقدمين في جماعة غيرها، فيتم بهذا توثيق الكتاب في كلا الجماعتين، وتنشرح به صدور أفرادهما بلا استثناء، ثم يترقى الأمر بعد ذلك إلى الاشتراك في برامج علمية، ينتدب لها أهل الخبرة والتخصص في مختلف الجماعات، وتصدر الأبحاث باسمها أو تحت إشرافها ومراجعتها، فتفتح لها مغاليق القلوب، ويقبل عليها الجميع بلا تحفظ ولا تحسس.

الاشتراك في بعض البرامج الدعوية والتربوية:

وذلك كالاشتراك في عقد المؤتمرات والندوات والأمسيات الدينية ونحوها، وفي تجهيز قوافل للتوعية العامة تتحرك في مختلف الأوساط، أو الاشتراك في بعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية العامة، وأبسط ذلك التعاقب على خطب الجمع وإلقاء المحاضرات في مسجد واحد أو في مؤسسة واحدة، الأمر الذي يشعر بالتكامل والتوافق ويبعد شبهة التجاذب والتنازع، ويرى الناس من خلاله صورا عفوية للتقارب المنشود.

تأسيس لجان مشتركة للتشاور وتطويق الخصومات:

فقد تطرأ أمور عامة تستوجب أن يواجهها العمل الإسلامي بموقف مشترك، وقد تنشب خصومة وتجاذب بين فريقين من المسلمين يستوجب أن يتحرك أولو الأحلام والنهى من الفريقين؛ لتطويقها والإصلاح بين أطرافها، ولهذا تمس الحاجة إلى تشكيل لجنة أو مجلس تمثل فيه مختلف الجماعات الإسلامية للاضطلاع بهذه المهام[٢٥].

ولا شك أن هذه الوسائل وغيرها من مسائل الاجتهاد يمكن التجديد فيها أو الإضافة إليها، أو اقتراح بدائل عنها، ويبقى المقصود المحكم في هذا المجال هو: كيف نخطو خطوة إلى الأمام في الطريق إلى جماعة المسلمين؟!

٢٤- باختصار وتصرف: الثوابت والمتغيرات- ص: ٣٤٥-٣٥٠.

المبحث الثاني

إمكانية الانتقال من الجماعات المتعددة إلى جماعة المسلمين الواحدة

المطلب الأول: الدور المنشود من الجماعات الإسلامية في مرحلة حركة الجماهير.

إن من نافلة القول التأكيد على أن أوضاع العالم الإسلامي، على كافة المستويات المنهجية والثقافية، والاجتماعية والسياسية والدفاعية، ربما كانت أسوأ بكثير لو لم توجد الجماعات الإسلامية، أو لا تقوم بأدوارها المتنوعة ووظائفها المتعددة، وذلك على مدى ما مضى من عقود طويلة وحتى الآن.

إن مثل هذه النجاحات على الامتداد الزماني والمكاني خلال العقود السابقة، لَتُشير إلى حقيقة بارزة، وهي أن الجماعات الإسلامية -كانت ولا تزال- ضرورة يفرضها الظرف الاستثنائي الطويل الذي دخلت فيه الأمة منذ أكثر من قرن، ولم تخرج منه للآن، وهو الظرف الذي شَغَرَ فيه الزمان عن الكيان القوي الممكَّن الذي يحفظ للمسلمين عزهم وكرامتهم ومكانهم اللائق بهم تحت الشمس، كخير أمة أخرجت للناس.

ولما كان الواقع يقتضي القول بأن لا منازعة في مشروعية الاجتماع على الخير والتعاقد عليه، والتزام الطاعة للقائم عليه في غير معصية، فإن الواجب يقتضي على هذه الجماعات الشروط التالية:

- ألا تتحزب على أصل كلي يخالف أصول أهل السنة والجماعة، وإلا كانت فرقة من الفرق الهالكة، أو على بدع جزئية كثيرة. لأن مثل هذا التحزب هو أساس نشأة الفرق الضالة لمخالفتها لما عليه أهل السنة من اجتماع أصول الدين وكلياته التي علموها من هدي النبي ρ، كما أن الاختلاف في البدع الصغيرة إذا كثرت فإنه يأخذ حكم الاختلاف كليات الدين وأصوله، لأن (المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك على كثير من الشرعية بالمعارضة[٢٦])..
- ألا تعقد ولاءها وبراءها على أساس الانتساب إلى هذا الاجتماع، لأن معقد الولاء والبراء هو الكتاب والسنة على رسم منهاج النبوة لا غير، قال ابن تيمية: (وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب، أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم، سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على

٢٥- كتاب الاعتصام - للإمام الشاطبي: ٢/ ٢٠٠-٢٠١

الإثم والعدوان، وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكىٰ عُضواً تَداعىٰ له سائرُ جسَدِه بالسّهَرِ والحُمّىٰ[٢٧])، وفى الصحيحين عنه أنه قال: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ[٢٨]) وفى الصحيحين أيضا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: (انصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظلوماً، قالوا: يا رسولَ الله، هذا ننصُرهُ مَظلوماً، فكيفَ ننصُرهُ ظالِماً ؟ قال: تأخُذُ فوقَ يدَيهِ[٢٩])... فهذه الأحاديث وأمثالها فيها أمر الله ورسوله بما أمر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض... فهذه الأمور مما نهى الله ورسوله عنها[٣٠]..

- ألا يقصد به منازعة السلطان المسلم، أو السعي في نقض بيعته وحل عقد إمامته، وذلك للأدلة التي تحرم النكث وتلزم بالأئمة وتوجب الطاعة لهم في غير معصية، وتنهى عن منابذتهم إلا بالكفر البواح الذي عندنا فيه من الله دليل قاطع مبني على يقين[٣١]، لحديث النبي ρ الذي وصف فيه حكاما يقعون في مخالفات تضر بالمؤمنين ومع ذلك نهى عن مقاتلتهم وقال: (إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ[٣٢])..
- الانتماء إلى جماعة المسلمين بمفهومها العام الشامل. لأن كل جماعة تكرس لدى أفرادها مفهوم التمايز والانفصال، وتزكي لديهم روح التشرذم والتهارج مع الآخرين؛ جماعة بدعية ضالة، لأن لزوم الجماعة بمفهومها العام والشامل هو المخرج من الفتنة... فيجب على كل فرد أو تجمع أن يكون له سعي في ذلك بحسبه، وأدنى ذلك أن يعقد قلبه على لزوم هذه الجماعة متى انتظم شملها، ولا يزرع الألغام في طريقها، أو يحبط الجهود التي تبذل لإقامتها بوجه من الوجوه[٣٣].

المطلب الثاني: التعصب والحزبية وآثارهما[٣٤].

إذا كان للعمل الجماعي ثماره الطيبة، وآثاره النافعة فإن الآفة الأولى التي تهدد هذه الثمار، وتعمل على إفساد تلك الآثار، إنما تأتي من قبل الحزبية السلبية غير الشرعية الناشئة عن اتباع الهوى، (فَوَفْقًا للحزبية الجانحة: كل مشروع ناجح للآخرين هو خصم من نجاحنا، وكل فكرة رائدة لغيرنا هي زائدة عن حاجتنا، وكل رمز صاعد نحو الريادة من خارج الحزب، هو خطر شديد على بقاء ونقاء الحزب... فبدلاً من أن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا كما يحب الله ورسوله، تجعله الحزبية المقيتة كالبنيان المتمايل يهد بعضه بعضًا[٣٥]).

لقد شوهت الحزبية المذمومة، مفهوم الجهاد في حرب أفغانستان الأولى، حيث تقاتلت بعض الأحزاب الجهادية على مرأى ومسمع من العالم في بداية التسعينيات، بما أضحك علينا الأمم، وأدمى قلوب المؤمنين، وخطف منهم الفرحة والسعادة بالانتصار العظيم على الروس، وهو الذي شاركت فيه الأمة كلها؛

٢٦- صحيح البخاري– كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم - رقم: ٥٨٧٤ – الفتح: ٥٠/١٢ ومسند الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير ٣٣٣,/٥

٢٧- صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر - كتاب المظالم – باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه- رقم: ٢٣٩٩-الفتح:٥/ ٣٨٥، وصحيح مسلم بشرح النووي من حديث أبي هريرة واللفظ له- كتاب البر والصلة- باب تحريم ظلم المسلم وخذله - رقم: ٦٤٩٣: ١٦/ ١٠٣.

٢٨ - صحيح البخاري -كتاب المظالم-باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما- رقم: ٢٤٠١- الفتح: ٥/ ٣٨٧، وصحيح مسلم بشرح النووي- كتاب البر والصلة والآداب- باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما- رقم: ٦٥٣٤: ١٦/ ١١٧.

٢٩- انظر: مجموع الفتاوى: ١١/ ٩٢- ٩٤

٣٠- انظر: الثوابت والمتغيرات - ص: ٢٣١- ٢٣٢ ولمزيد تفصيل انظر: ص: ٢٤٤- ٢٤٥

٣١- صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب: قول النبي ρ: سترون بعدي أثرة- رقم:٦٩٠٣ : ١٤/ ٤٩٤، وصحيح مسلم بشرح النووي- كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في المعروف- رقم: ٤٧٢٧: ١٢/ ١٨١. وقد ورد اللفظ في كتاب الثوابت والمتغيرات بزيادة [لا] في بداية الحديث، ولم أجدها في كل المصادر الحديثية التي وقفت عليها.. ومعنى كُفْراً بَوَاحاً: أي جِهَاراً، من بَاحَ بالشيء يَبُوح به إذا أعْلَنه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر -باب حرف الباء – ١/ ٣٠٣.

٣٢- الثوابت والمتغيرات- ص: ٢٤٥

٣٣- لمزيد حول المطلب أدناه، أنظر: التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان- الإصدار الرابع- صفحة ٤٢١-

٣٤- التقرير الاستراتيجي- الإصدار الرابع- صفحة: ٤٣٠.

فكلفها عشرات الآلاف من أرواح المجاهدين ومئات الملايين من نفقات المحسنين، وما لا يقدر بثمن من أوقات وطاقات المتعاطفين والمتعاونين[٣٦].

والكل يعلم أن الحزبية السوداء، هي التي أشعلت الفتنة أو استجابت لها، حتى أذهلت وأشغلت الحكماء والعلماء عن إطفاء نارها، وقد لعبت الحزبية دورًا أسوأ لما نهضت حركة طالبان في أفغانسان أيضًا، فَتَجَهَّمَ الحزبيون لها، وتهجموا عليها وضنوا عليها بالولاء... ثم تطور الأمر إلى صورة أخس، عندما انضمت بعض الجماعات الحزبية إلى خندق الكفار ضد إخوانهم وهم تحت النار[٣٧]!!...

ولا يعني الكلام عن الأثر المدمر للحزبية العبثية في ساحات النضال السياسي، والقتال أو النزال الجهادي، أن نغفل آثارها القاتمة والقاتلة في الساحات الدعوية بل والعلمية!! فلا تزال المنازعات الحزبية تزاحم صلاح النية في الأعمال الدعوية وأحياناً العلمية، فلكل جماعة مثلاً مساجدها وروادها وعلماؤها ودعاتها، بحيث يكاد يُفرض [حظر تجول] في الساحات الدعوية لبعض الاتجاهات من جماعات أخرى، وفي بعض الأحيان يكاد الاقتصار على تلقِّي منهج الجماعة أو الحزب، أن يكون أشبه بالتلقِّي عن المصادر المعصومة؛ حيث يعد السماع أو الاطلاع على غيرها، أو التلقي عن الآخرين خرقًا لقواعد الانتماء، وتجاوزًا لحدود السمع والطاعة!.. والحكايات في هذه الأمور لا تكاد تنتهي، وهي في النهاية تحكي عمق المأزق الذي عاشه، ولا يزال يعيشه العمل الإسلامي في بقاء تلك الازدواجية العكسية بين الحزبية وخلاص النية.

لقد أوصلت الحسابات الحزبية غير الشرعية، إلى ممارسات تخالف الشريعة، بل وتخالف العقيدة، ومع ما قد يقال من أن التحزب على مبدأ أو فكرة أو جماعة، هو من المظاهر والظواهر الطبيعية في الحالة المجتمعية طوال تاريخ الأمم، وأنه أمر لا يمكن تلافيه أو التلاقي على الصواب فيه، فإنه يُجاب عن ذلك بأن حتمية الوقوع القدري شيء، وتسويغ الوجود كأمر شرعي شيء آخر، فبحسب الميزان الشرعي لا يمكن الاحتجاج بالأقدار في وزن وتقويم الأعمال[٣٨].

المطلب الثالث: المشروع البديل لتدعيم الإيجابيات وتجاوز السلبيات[٣٩].

إن الجماعات الإسلامية لا يزال لها دور رائد وموقع قائد، في ميادين التمكين للدين، فلا زالت الظروف التي نشأت لأجلها قائمة، ولا زالت الأمة في حاجة إلى تنوع تخصصاتها، وتميز عطائها، وانتشار أنشطتها، وإن التنادي بتجاوز مرحلة عمل الجماعات في عصرنا الراهن، إنما هو كدعوة لهدم بناء قديم عريق عامر بدعوى إنشاء بنيان جديد ومعاصر، دون أن يكون لنا في مشروع البناء الجديد رأس مال لتأمين التكلفة، أو مهندسون للتخطيط، أو عُمّال للبناء، فتكون النتيجة هي الاستقرار في العراء، أو التقدم إلى الوراء!.

إن حجج المنادين بتجاوز مرحلة الجماعات، تتلخص في أن مشكلاتها أصبحت أكبر بكثير من الحلول المقترحة لمعالجتها، أو أن أدوارها قد استُنفدت، أو أن وسائلها قد عفا عليها الزمن، وأن أُطُرها لم تعد مناسبة في زمن تطور أشكال العمل المؤسسي في المجتمعات المتقدمة.

وقد يكون بعض هذه الأقوال صحيحًا، ولكن السؤال يظل.. ما هو البديل الجاهز في ظل الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة، وتحتاج فيها إلى كل جهد فردي، فضلاً عن أداء جماعي في خدمة دين الناس ودنياهم، والذود عنهم في كافة المجالات العلمية والتعليمية، والإعلامية والاجتماعية، والسياسية والجهادية؟!

إن الدعوة إلى تجاوز مرحلة الجماعات قبل إيجاد البدائل، هو بالإضافة إلى أنه غير مصلحي، فإنه غير واقعي، فلا توجد جهة في العالم الآن تملك أن تُوقف تجمع الجماعات، وليست هناك صلاحيات لأي

٣٥- نصح كثير من الدعاة والمخلصين قادة المجاهدين الأفغان بضرورة التصالح والاتفاق على أسس معلومة ومقبولة لكل الأطراف قبل، لمزيد تفصيل انظر: مجلة البيان العدد [١]- مقال بعنوان رسالة مفتوحة للمجاهدين الأفغان- صـ ٤٣- ٤٧، والعدد [٦] مقال بعنوان جهاد المسلمين الأفغان يمر بأخطر مراحله- صـ ٦٢- ٦٧ والعدد [١٧] - صـ ٨٩ وما بعدها مقال بعنوان انتصار الجهاد الأفغاني الآمال والعقبات.

٣٦- انظر مجلة البيان- العدد [١٦٨] - صـ ٦٩- ٧٤ وصـ ١٢٩- ١٣٤. والعدد [١٦٩] – صـ ١٠٩- ١١٤.

٣٧- انظر: شرح العقيدة الواسطية: ٢/ ٢٢٢- ٢٢٨، ويلخص العلماء هذا المبدأ بقولهم: الاحتجاج بالقدر يكون في المصائب لا في المعايب.

٣٨- لمزيد تفصيل حول المطلب أدناه؛ انظر: التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان- الإصدار الرابع- صفحة ٤٢١ وما بعدها.

جهة كانت أن تُصدر أمرًا بحل جماعة كذا، أو تحويل مسار جماعة كذا، فالدعوة إلى حل الجماعات، وتسريح أعضائها هو حل مستحيل، وبالإضافة إلى أنه غير مستساغ فإنه غير مستطاع.

إن الطرح البديل هو تصحيح الوجهة في اتجاه (ما بعد الحزبية)، وكذا التوجه نحو التطوير والتعديل في أُطُر العمل الجماعي، مع الاستمرار في التوسع خارج إطار الجماعات أو في تجمعات من نوع جديد، فهي ثلاث ركائز مطلوبة:

الركيزة الأولى:

تقليل تحكم الحزبية السلبية في توجيه عمل الجماعات، وهو ما نعنيه بالدعوة إلى (ما بعد الحزبية)؛ حيث من الممكن أن يتحسن أداء الجماعات الإسلامية أضعافًا مضاعفة، إذا تخلت عن جعل الحسابات الحزبية ميزاناً لتقويم الأشياء، والحزازات الحزبية معيارًا للولاء والبراء.

إن تقليل خطر الاختلاف، حزبيًّا كان أو غيره، ليس مستحيلاً، بل هو داخل في حدود المستطاع؛ لأنه أمر شرعي وديني، فقد كثرت الدعوة في نصوص الشريعة إلى عدم الاختلاف، وتكثف التشنيع على المتفرقين والمفرقين، فما المانع من أن يعمل العاملون في مواقعهم التي يُسِّرُوا لها في أجواء جديدة ونظيفة، يحل الاحترام فيها محل الصدام، والتناصر محل التنافر؟! وما المانع أن يستشعر كل عامل أنه مُكمِّل للآخر والآخر مكمل له؟! حيث تحتاج قضية العمل للإسلام إلى مجموع جهود الحاملين لرايته، العاملين لنصرته.

إن مفهوم الشمولية في العمل الإسلامي، كان من المفترض أن يكون من المفاهيم التي استقرت وأصبحت من البدهيات، بعد أن ظهر للجميع أن من المستحيل أن تقوم جماعة واحدة أو توجه واحد بحمل كل أعباء الدعوة دون تعاون الآخرين، ولكن قاتل الله الحزبية التي تصور لكل جهة أنها وحدها القادرة على تصنيع سفينة النجاة وتدريب ربانها، وتركيب آلاتها وجمع ركابها، والتحكم في مساراها وتوجيه هوائها، وتسيير الماء من تحتها!!

صحيح أن السفينة لا ينبغي لها إلا قبطان واحد في ظروف العافية والاستقرار، إلا أن هناك ظروفاً استثنائية قد يُفْقَدُ فيها القائد أو يَمْرَض، وعندها لا بديل إلا بتعاون الكل في توازن تام وتجرد كامل، حتى لا تغرق السفينة بالجميع.

إننا في حاجة ملحة إلى تجاوز الحزبية إلى الشمولية في مرحلة الخطر التي نعيشها، فما المانع من أن يتواضع السياسيون للشرعيين، فيستمدون منهم ضوابط ما يُفعل وما لا يُفعل في السياسة وفق موازين الشريعة؟ وما العائق من أن ينفتح الشرعيون على فهم مُجريات السياسة ومخرجاتها، التي تؤثر حتمًا على مسيرة المسلمين في العمل للدين؟

لماذا لا يستشعر السياسيون أنهم في حاجة إلى تضحيات الجهاديين، التي لولاها -بعد فضل الله- ما نفعت السياسة ولا أفلح الساسة؟!... وما الذي يضير الجهاديين إذا تتلمذوا على العلماء الربانيين واستفادوا من السياسيين المتفقهين؛ ليدركوا أبعاد التفاعلات المحلية والإقليمية والدولية التي يعملون في معتركها، ويجولون في مساربها ويكتوون بنارها، ثم أليس أولئك جميعاً في حاجة إلى جهود المربين، الذين يقومون بتربية طلاب العلم وأرباب السياسة ومحبي الجهاد، ويزكون فيهم روح التآخي والتناصر والتعاذر؟ وأليس جميع العاملين في الحقول الإسلامية لا يستغنون عن جود الأغنياء وعطاء الفقراء وحكمة العلماء وحنكة الساسة ودُرْبة المفكرين والإعلاميين والحقوقيين؟!

لماذا لا نتقاسم الأدوار، بدلاً من تقاتل الأفكار؟ لماذا لا نتكامل حتى لا نتآكل، ونتصارح بلا تصارع، وتحل بيننا روح النصيحة بدل حب النقد والفضيحة؟!

إن التكامل مع التصحيح، هو أهم السبل لإعزاز الدين وإكمال مسيرة التمكين، فليبق أهل العلم والدعوة في خطهم، والجهاديون على دربهم، والسياسيون في حال سبيلهم، ما دامت النصيحة سبيل الجميع إسداءً وقبولاً، وما دام السعي إلى التصحيح والتقويم ماثلاً وقائمًا عند كلٍّ منهم، وليعملوا جميعاً أنه: في كل خير، ما دام بعضهم يؤدي دورًا مكملاً لأدوار الآخرين، وما دام اختلاف الجميع لا يَخرج من إطار الاجتهاد إلى دائرة الأصول.

إن هذا التكامل نفسه يضيف بُعْدًا وجدانيًّا تضامنيًّا مع رفاق الدرب وأصحاب الطريق، ويشعر بعضوية عامة لجماعة الإسلام العامة والكيان الإسلامي الواحد، فإذا كانت الأمة الإسلامية كالجسد الواحد - وهي كذلك- فإن:

- ✓ العاملين في مجال العلم والدعوة فيها، هم القلب النابض في ذلك الجسد..
- ✓ والسياسيون والمثقفون هم العقل المفكر فيه..
- ✓ والمجاهدون والمحتسبون هم اليد التي يبطش بها والرِّجْل التي يمشي بها والعين التي يُبصر بها.

إننا لا يمكن أن نتصور ساحة إسلامية نضج العمل الإسلامي فيها، دون أن تكون قد تجاوزت مرحلة الحزبية، وقد آن الأوان للإسلاميين أن يُفْطَمُوا من هذه الطفولة الحزبية القميئة غير البريئة.

الركيزة الثانية:

الانطلاق بلا تردد، إلى تطوير أداء الجماعات وتعديله في إطار ضوابط الشريعة، فقد ضيَّعت بعض التجمعات عمرًا في الأوهام، من خلال الالتزام بقوالب حزبية، صنعت منها ما يشبه الثوابت الشرعية، مع أنها لم تكن أكثر من اجتهادات لأفراد، ثم تحولت إلى سياسات نمطية يحظر الخروج عنها، ويحذر من تجاوز خطوطها، مع أنها اجتهادات ربما انكشف خطؤها وانحرف خطها.

إن بعض التجمعات الإسلامية مثلاً، كانت ولا تزال تنظر إلى الاهتمام بالشأن السياسي على أنه رجس من عمل الشيطان، وقد نقل موجِّهوها عزوفهم عن الشأن السياسي برُمَّته إلى الأتباع، حتى صار الواحد منهم يتفاخر بمقاطعته متابعة وفهم أخبار العالم، مع أن أكثر تلك الأخبار اليوم، هي أخبار إخوانهم من المسلمين المحارَبين والمستضعَفين والمحاصَرين، أو أولئك المناهضين والمقاومين... وفي مقابل هؤلاء أسرف آخرون في الانغماس في (ساس، ويسوس، وسائس، ومسوس) إلى الحد الذي يُنْسِي الغرض الأصلي من تناول الإسلاميين للشأن السياسي كأحد وسائل خدمة الدين، لا نصرة الحركة أو الحزب.

وقد يلهي هذا الاستغراق في شؤون السياسة عن أمور ضرورية، من فهم العلم الذي لا غنى عنه في ضبط ممارسة أي شيء بما في ذلك السياسة، وربما تجد من يعقدون خصومة بين العلم الشرعي وبقية أنواع النشاطات، ظناً منم أن الإقبال على طلبه مضيعة للوقت، والأولى الانصراف إلى الدعوة أو الجهاد أو السياسة أو رعاية المشاريع.

لا يُطْلَب من الجميع -بداهة- أن يكونوا ساسة أو علماء أو مجاهدين، فكلٌ مُيَسَّر لما خُلق له، ولكن المطلوب من الجميع أن يتحرروا من القوالب النمطية، التي صنعتها الحزبية لترفع بها موالين وتضع بها مخالفين بغير ميزان الشريعة، إن المراد هو ألا تُخْتَزَل أعمال الدعوة الإسلامية في نشاط واحد يرى نفسه ويعمى عن غيره، فمن مقتضيات التطور نحو الشمول والتكامل في العمل الإسلامي: الإقرار بجهود وفضائل بقية العاملين، فهذا قمين بأن يقيم الجسور، ويقرِّب المسافات بين الجماعات، ويهدم أسوار العزلة فيما بينها.

وهناك خطوات عملية يمكن بها تطوير العمل الجماعي القائم، والسير به نحو الترشيد والتكامل، ومن هذه الخطوات:

١. الانتماء الإسلامي العام أساس العلاقة بين العاملين للإسلام، بدلاً من بناء العلاقات على أسس الانتماءات الحزبية.
٢. إحياء عقيدة الولاء لكل مسلم على قاعدة الحب في الله والبغض في الله، وجعل الانتماء الإسلامي العام أساس العلاقة بين العاملين للإسلام، بدلاً من بناء العلاقات على أسس الانتماءات الحزبية.
٣. إعطاء الاختلافات حجمها الطبيعي، بلا إفراط ولا تفريط، حتى لا تجري المبالغة في اتخاذ المواقف على أمور ربما لا تخرج عن حيّز الاجتهادات، أو يُصار إلى التهوين من شأنها على حساب الدين.

٤. تقليل الالتزام الصارم بالعمل داخل الأُطُر الحزبية المعينة، فمساحة العمل الإسلامي أكبر من الحزب وأرحب من الجماعة، وأوسع نطاقاً من حدود الحركة.. ولا شك أن مشاركة الآخرين في أنواع الخير يجلب تأليف القلوب وتدريب القدرات وتبادل الخبرات.
٥. تضمين البرامج التربوية النظرية برامج عملية في الانفتاح على الآخرين من المسلمين، والتواصل معهم في إطار الجوامع المشتركة التي مساحتها أكبر بكثير من أُطُر المسائل المختلف فيها.

الركيزة الثالثة:

توسيع العمل خارج إطار الجماعات الموجودة، وإنشاء صِيَغ جديدة من العمل الإسلامي، تسع الشريحة الأوسع انتشارًا وأقل تأثيرًا، وهي شريحة الإسلاميين غير المنتمين، فغير المنتمين للجماعات قد يكون من الأفضل أن يظلوا خارج إطارها وإسارها، لكن من غير المعقول ولا المقبول أن يظلوا -وهم الأكثرية- خارج عملية التغيير الإسلامي، فالحاجة ماسّة إلى استيعابهم في صِيَغ عمل جديدة ومفيدة للأمة، والدعوة لتجاوز مرحلة الجماعات القائمة، الأولى منها تركيز الجهود على (جماعة غير المنتمين)، فهي أرض فضاء خارج مدينة الجماعات المكتظة، يمكن تخطيطها، ثم بناؤها على طُرُز جديدة بدل الانشغال بكيفية إزالة المدن القديمة الآهلة.

إن كل فكرة يمكن أن ينادَى بها لتطوير عمل الجماعات المنتمية، يمكن تفعيلها من دون عقبات في مجموعات غير المنتمين، فهؤلاء يمثلون حقلاً كبيرًا يمكن حرثه وغرسه دون خوف من هواجس الآفات التنظيمية والحزازات الحزبية، إنه إطار حر لابتكار صِيَغ مرنة من التعاون الشرعي والعمل الجماعي غير التقليدي، فالعمل للدين مطلوب في كل الأحوال، ولو كان من غير طرق الانتماء، وكثيرًا ما نرى أفرادًا، الواحد منهم بجماعة بل بأمة، وهو يعمل دون تقيد جماعي، وقد يكون الارتباط الجماعي معرقلاً له، كما أن هناك تجمعات قد تُقَزِّم طاقات أفراد داخلها، ربما كانوا عمالقة خارجها إذا أحسنت الاستفادة منهم.

وكما أن الأمة في حاجة إلى جهد كل جماعة تعمل للإسلام، فهي في حاجة أيضاً إلى جهد كل فرد فيها، فواجب وفرض أن يوجد دور لكل فرد، وهذا لن يكون إلا بتعديل وتطوير عمل الجماعات القائمة، وابتكار وتفعيل أُطُر جديدة من الأعمال، بحيث ينطلق الجميع من منهجية واحدة، قائمة على الأصول الاعتقادية الصحيحة كحد أدنى في الاتفاق والوفاق[٣٩].

المبحث الثالث

إعداد القيادات وتهيئتها لتحقيق الوحدة

سيتولى هذا المبحث النظر في عناية مفكري المنتدى الإسلامي بإعداد القادة الذين تتوحد الأمة حولهم ليقودوها لتحقيق دورها الرسالي الذي اختارها المولى Y له، وذلك في خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحاجة للقيادة ضرورة فطرية.
المطلب الثاني: أسباب الحرص على اكتشاف القادة في فكر وعمل المنتدى الإسلامي.
المطلب الثالث: نماذج من مناهج السلف في إعداد القادة.
المطلب الرابع: حول رؤية الشيخ فيصل بن علي البعداني لإعداد القادة.
المطلب الخامس: حول رؤية الدكتور محمد العبدة لإعداد القادة.

المطلب الأول: الحاجة للقيادة ضرورة فطرية.

٣٩- لمزيد تفصيل لكيفية تحقيق هذه الرؤية؛ أنظر مقالا في مجلة البيان بعنوان بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى حركة الإسلام- للدكتور فريد الأنصاري- الأعداد ١٩٠- ١٩١- ١٩٢.

من أنعم النظر في التاريخ والحركات الناجحة فيه؛ يدرك أنه لا يمكن تصور عمل كبير -ديني أو دنيوي-، يقوم بغير تلاقي الجهود وتنسيقها، وتوزيعها في عمل جماعي منظم التخطيط، منتظم التنفيذ، يقوم على متابعته رأس من الناس، أو عدد من الرءوس المتعاونين، لذلك نجد أنه قد استقر في فطر العقلاء أن التجمعات البشرية لا تصلح ولا تنتظم من غير قيادة حكيمة تسعى في مصالح تابعيها جلباً للخير والمكارم ودفعاً للشر والرذائل، ولا بد للمجتمعات على اختلافها من قيادة توجهها، وتتولى التنظيم والتنسيق بين جميع فئات المجتمع ومناشطه، وهذه القيادة تصبغ المجتمع بوجهتها وتضفي عليه طابعها المميز، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولذلك قال العلماء: (لا بد للناس من إمارة، برَّة كانت أو فاجرة[٤١])، فالقيادة تنظم شؤون المجتمعات وتقيم العدل بينها، لذلك حض عليها النبي ρ وأمر بتعيين القائد في أقل التجمعات البشرية حين قال عليه الصلاة والسلام: (إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليؤَمِّروا أحدهم[٤٢])، قال الخطابي: (إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأي ولا يقع بينهم الاختلاف[٤٣]).

وقد أفرزت العناية الفائقة من قبل التيارات الدعوية بالعلوم الشرعية تدريساً وتعليماً وتأليفاً عقودًا طويلة؛ علماء ومتخصصين في الدراسات الشرعية، وقد كان من المتوقع أن تُخرِّج هذه النشاطات العلمية المكثفة أجيالاً من العلماء والقادة المؤهلين لقيادة الأمة وتوجيهها، ولكن بدلاً من ذلك أصبحت الجماعات الدعوية في كثير من الدول الإسلامية تعاني هي نفسها من أزمة مرجعية علمية، ويفتقد كثير منها إلى علماء بارزين يقودون الحركة أو التيار، ويشرفون على عملية التعلم والتعليم بداخله.

وحتى الكفاءات العلمية الموجودة في بعض الحركات لم تستطع أن تطور خطابًا عامّاً يتلاءم مع حاجة المجتمع، بل ظلت قابعة في إطار جماعتها مكتفية قانعة بأتباعها، عاجزة عن الوصول إلى الناس فضلاً عن قيادتهم.

وبالتالي فإن التيارات الدعوية تحتاج إلى إعادة تطوير وتجديد، بما يتناسب مع مستجدات الواقع، وهذا لن يتأتى إلا بقدرة الحركات والجماعات على استيعاب الطاقات الفكرية بداخلها، والسماح بقدر من تبادل الآراء والنقاش حول القضايا المحورية، والحذر من تقديس وتكديس المتغيرات والأشخاص وتحويلها إلى ثوابت راسخة[٤٤].

إن القدرة على الاستفادة من مكامن التفوق، والتميز لدى المرؤوسين بأفضل ما يمكن يعتبر من مسلّمات الإدارة الناجحة، ولكي يتحقق هذا كان لزاماً على الدعاة والمربين معرفة وتمييز هذه المكامن لدى المدعوين والمتربين وهو ما نعنيه باكتشاف الطاقات ورجال المستقبل، فعلى قادة العمل الدعوي تحريك الطاقات العلمية الكامنة كما حركوا كثيراً من الطاقات الدعوية فأفادت وأثمرت وهذا ما يتأتى عن طريق:

- ✓ رعاية جوانب التخصص لدى شباب الجماعة رعاية تخرج من التشتت، وتحارب الانغلاق.
- ✓ العناية بالأفراد الذين برزوا في العلم ولم تستوعبهم الجماعات فيما مضى.
- ✓ السعي إلى إنشاء مراكز أبحاث علمية ودعوية تنظر في نوازل الأمة الفقهية والدعوية وتؤصل الحلول الشرعية لها، مع العلم بأن العناية بالتأصيل غدت ضرورة فوق كل ضرورة، وإلا فإنه لا مكان اليوم للضعفاء[٤٥]، وغير المهتمين بالعلم والتطوُّر..

المطلب الثاني: أسباب الحرص على اكتشاف القادة في فكر وعمل المنتدى الإسلامي.

العنصر البشري هو الأساس لكل نهضة، وهو العماد لكل حركة، وبدونه تموت في مهدها أي فكرة، وعندما يشعر الأفراد في أي أمة أنهم غير قادرين على العطاء فإنما هم بذلك يُصدرون حكماً بالإعدام على أنفسهم ومجتمعهم، شاءوا أم أبوا.

٤٠- مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٢٩٧

٤١- سنن أبي داود- كتاب الجهاد- باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم- رقم: ٢٦٠٨ –عون المعبود: ٧/ ٢٦٧ من حديث أبي سعيد الخدري

٤٢- عون المعبود: ٧/,٢٦٧

٤٣- التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان – الإصدار الخامس- ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م - صـ ٣٧٣

٤٤- مجلة البيان - العدد [١٢٢] صـ ٤

وذلك أنهم بتقريرهم هذا الشعور إنما يعلنون العزم المبَيّت على تجميد الحركة والعمل، ليصبح ذلك المجتمع كالجثة الهامدة، إن هذه الظواهر الاجتماعية التي يعرفها الخاص والعام قد جاءت نصوص الشريعة بتقرير الحقائق عنها؛ فهي ثابتة لا تتغير، وكونية لا تتبدل، قال عليه الصلاة والسلام: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ[٤٦]).

إن مما يجدر بنا أن نستحضره في كل حين أنه لا أحد في المجتمع المسلم يمكن أن يوضع في قائمة من هو (غير قادر على العطاء)، بل الجميع يملكون شيئاً ما إن لم يكن أشياء يستطيعون من خلاله خدمة أمتهم، وهذا النسق الاجتماعي، قد قرره المصطفى ρ بقوله وفعله، والتزمت به الأمة الإسلامية منذ فجرها الأول، بل في قمة أعمال البذل والعطاء في الجهاد في سبيل الله يبرز هذا المَعْلَم الإسلامي في أجلى صوره، فالكل يبذل، والجميع يُضحي، حتى إذا بقي الضعفة والمساكين الذين لا مال لهم ولا قوة يجاهدون بها يبقى لهم دورهم الذي ينبه إليه الرسول ρ بقوله: (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هٰذِهِ الأُمَّةِ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ[٤٧]).

إن القيمة الحقيقية لأي مؤسسة ليست فقط في مواردها المالية، أو قوتها الإدارية، أو سعة انتشارها، وإنما قوتها في رجالها؛ فَهُم ثروة بنائها، وهم الأعمدة التي تعين بحق في استقرار المؤسسة وثباتها؛ ولهذا كانت الدقة في حسن اختيارهم وتوظيفهم، ثم العناية بتدريبهم، ورفع قدراتهم، وصقل طاقاتهم؛ من أهم جوانب القوة والتميز، ومن أهم أسس النمو والاستقرار المستقبلي، وهذا ما أدركه قادة المنتدى الإسلامي بعد أن لاحظوا قصورا في كثير من المؤسسات الدعوية والخيرية تركز في أمور ثلاثة هي:

الأول: قصورٌ في الطاقات المبدعة. وليس هذا القصور ناتجًا عن قلة عدد الراغبين في العمل الخيري، بل هو ناتج عن قلة المعادن الكريمة التي يُعضّ عليها بالنواجذ، وهذا مصداق قول النبي ρ: (إنَّما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة[٤٨])..

الثاني: قصورٌ في اكتشاف الطاقات. ثم قصور في توظيف الطاقات توظيفًا مثمرًا، يُسَخِّر ملكاتها، ويوجّه قدراتها.

الثالث: ضعفٌ قيادي وإداري في التأليف بين الطاقات الموجودة وجعلِها تنتظم في فرق عمل منسجمة، تتكاتف لتحقيق أهداف المؤسسة[٤٩].

سبب الحرص على اكتشاف القادة.

إن توفر الرجال أولاً، والقدرة على توظيفهم لخدمة أهداف رسمها لهم القادة ثانياً، هما طرفا المعادلة الإدارية التي ينتج عنها نجاح القادة، ويمكننا هنا أن نقرر ما يلي:

أولاً: أن توظيف الأفراد في المجالات التي يبدعون فيها يمكنهم من أن يقدموا أفضل ما لديهم لخدمة الأهداف المرسومة.

٤٥- صحيح مسلم بشرح النووي- كتاب البر والصلة– باب النهي عن قول هلك الناس- رقم: ٦٦٣٥: ١٦/ ١٥٠ومسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة- رقم: ٨٤٦٢:٢/ ٤٥٥.. وقد شرح الإمام النووي معنى كلمة (أهلكهم) بقوله: (روى [أهلكهم] على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر، ويؤيده أنه جاء في رواية رويناها في حلية الأولياء في ترجمة سفيان الثوري (فهو مَن أهلكهم)، قال ألحميدي في الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكاً. وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة. واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه)، وانظر: التمهيد لابن عبد البر- ٢٤٢/٢١.. وقال الراغب الأصفهاني: (يُروى بفتح الكاف وضمّها، فمن فتحها كانت فعلاً ماضياً، ومعناه أنَّ الغالين الذين يُؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك النَّاسُ: أي استوجبوا النَّار بسوء أعمالهم، فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى، أو هو الذي لما قال لهم ذلك وآيسهم حملهم على ترك الطَّاعة والانهماك في المعاصي، فهو الذي أوقعهم في الهلاك.

وأما الضَّمُّ فمعناه: أنه إذا قال لهم ذلك فهو أهلكُهُم: أي أكثرهم هلاكاً. وهو الرجل يُولَعُ بعيب الناس ويذهب بنفسه عُجباً، ويرى له عليهم فضلاً.) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر- باب الهاء- ٥/ ٢٦٩- ٢٧٠.

٤٦- سنن النسائي- كتاب الجهاد- باب الاستنصار بالضعيف - رقم: ٣١٨٠: ٦/ ,٣٥٢

٤٧- صحيح البخاري- كتاب الرقائق- باب: رفع الأمانة- رقم: ٦٤٩٨: ١١/ ٣٣٣. وصحيح مسلم– كتاب فضائل الصحابة- باب قوله ρ: (الناس كإبل مائة) - رقم: ٢٥٤٧: ٤/ ١٩٧٣ .

٤٨- التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان الإصدار الخامس- ص:٣٠٧

ثانياً: أن ذلك يعتبر حافزاً لاستمرارية العطاء لدى الأفراد؛ حيث يحققون ذواتهم بتميّزهم وتفوقهم من خلال إمكاناتهم الحقيقية.

ثالثاً: أن في توظيف أصحاب الطاقات في المجالات التي تميزوا فيها تحقيقاً للمزيد من التألق والإبداع في مجالات عملهم.

رابعاً: أن عدم معرفة الطاقات واكتشافها يفضي إلى وضع الأفراد في أعمال لا تتناسب مع قدراتهم، مما يضعف الأعمال ويتسبب في إخفاقها.

خامساً: أن سد الثغرات بالمرؤوسين الأكفاء الذين أحسن القائد انتقاءهم، يمكنه من التفرغ والمراقبة عن كثب لمن هم بحاجة إلى توجيه، وبهذا يستطيع من خلال معرفته بالرجال سد الثغرات، والارتقاء بالآخرين دون عناء.

سادساً: أن عدم المعرفة المسبقة بالطاقات الموجودة وتوظيفها في وقت السعة والرخاء، يجعل العثور عليها في وقت الضرورة شاقاً وعسيراً، كما أنه حتى وإن تم اكتشافها آنذاك قد لا يكون هناك وقت لتطويرها وصقلها بالشكل المناسب.

عليه يجب أن نتذكر أنه كلما بكّرنا في اكتشاف الطفل المتفوق أو الموهوب، وهو ما زال في مرحلة عمرية قابلة للتشكيل؛ كان ذلك أفضل كثيراً من الانتظار إلى سن متأخرة، قد يصعب فيها توجيه الموهوب الوجهة المرجوة؛ نظراً لما قد يكون قد اكتسبه من أساليب وعادات تجعل من الصعب عليه التوافق مع نظام تربوي، أو تعليمي مختلف[٥٠].

لهذه الأسباب شرعت إدارة المنتدى الإسلامي ومفكروه في خطوات عملية لإعداد القادة، فمن الناحية النظرية وضعت البحوث وعولجت هذه المسألة في مختلف الإصدارات والنشرات التوجيهية[٥١]، ومن ذلك المذكرات التي كانت اللجنة العلمية بالمنتدى الإسلامي ترسلها إلى مكاتب البلدان بخصوص العمل الصيفي السنوي، حيث توضح تلك المذكرات الخطط التفصيلية للدعاة لكيفية إنشاء المحاضن التربوية التي تخرج القادة الذين يمكنهم تحمل مسؤوليات العمل مستقبلاً[٥٢]، ومن ذلك الكتب والبحوث التي تصدر عن المنتدى الإسلامي، مثل: البحث القيم الذي صدر في جزأين بعنوان: الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، وكتاب: نحو تربية إسلامية جادة، إضافة إلى الكتب التي تعنى بإعداد المربين الذين يخرجون القادة مثل كتاب: نحو أداء متميز لحلقات التحفيظ، وكتاب: المدارس والكتاتيب القرآنية- وقفات تربوية وإدارية، هذا غير الكتب التي تقوّم السلوك وتعود المسلم على أفضل القيم، مثل: نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار وروايتها، وكتاب قارب النجاة وطريق الخلاص، وكتاب: الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن، وكتاب: معلم في تربية النفس وتزكيتها، والقائمة تطول...

ويأتي هذا الحرص مع إدراكهم للحاجة الماسة إلى التعامل مع القيادات الميدانية بمنطق التقدير والثقة وتفويض الصلاحية، وأن يكون ذلك وفق رؤية استشرافية بعيدة النظر، ولذلك اقترحوا خطوات عملية لإعداد قادة المستقبل أهمها ما يلي:-

أولاً: العناية ببناء الرجال، وإعداد القيادات الإدارية والعلمية والدعوية؛ القادرة على تحمُّل المسئولية، والمؤهلة لأخذها بحقها، حيث يدرك قادة العمل العام النابهون؛ أن بناء الرجال هو أعظم ثروة يتركها أيّ مدير أو قيادي للمنظمة أو المؤسسة العاملة في الحقل العام، حتى يتوفر جيل من الموظفين والمديرين والمتعاونين المخلصين المعتمدين على أنفسهم، والذين يتحلون بالنشاط والمبادرة الذاتية والاعتمادية والمسئولية العالية[٥٣]. وهؤلاء هم الذين يرجى قيامهم بتحمل مسؤوليات نهضة الأمة.. لأن (بناء المؤسسات

٤٩- انظر مجلة البيان - العدد [٢٠٧] صـ ٢٦

٥٠- انظر على سبيل المثال: مقالا بعنوان: [المؤسسات الدعوية النسائية الواقع والتطلعات] للدكتورة رقية بنت محمد المحارب. مجلة البيان – العدد [١٥٠] – صـ ٦٠ وما بعدها.

٥١- انظر مقرر الدورة العلمية الصيفية الرابعة لدولة تشاد ١٤٢٤هـ

٥٢- انظر: التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان الإصدار الخامس- ص:٣٠٧.

الدعوية الخيرية يتطلب قيادات حية وناضجة، تملك رؤى استشرافية عميقة، كما تملك القدرة على المبادرة وتفعيل الطاقات[٥٤])..

ثانياً: التدريب ورفع مستوى الكفاءات الإدارية والدعوية.

التدريب هو: (الجهود المنظمة والمخططة لتطوير معارف وخبرات واتجاهات المتدربين، وذلك بجعلهم أكثر فاعلية في أداء مهامهم[٥٥])، فقد أثبتت الدراسات أن التعليم والتدريب يسهمان في رفع مستوى الإنتاج، وبناءً على ذلك؛ فإن أي تقدم في العمل المؤسسي يعتمد بدرجة كبيرة -بعد توفيق الله تعالى- على التعليم والتدريب[٥٦]، وقد أصبح التطوير وتنمية الموارد البشرية عنصرا مهما في بناء بنية أي مؤسسة مهما كان نشاطها، وعاملا من عوامل استمرارها في العطاء والمنافسة.

ولكن اللافت للنظر أن بعض المؤسسات الخيرية لم تقتنع بعدُ بأهمية التدريب، وقد تظن أنه مجرد هدر للأموال والأوقات! ولا شك بأن هذا خطأ؛ هذا مع أنَّ كثيرًا من العاملين في المؤسسات الخيرية يتميز بالصدق والحرص، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هؤلاء الصادقون على قدر كافٍ من القدرة والكفاية العملية.

إن واقعنا اليوم يعيش وتيرة هائلة من التسارع والتغيُّر، وهو تغير يترك آثاره على حياة الناس المادية والاجتماعية والفكرية، والمتميزون اليوم بخبرتهم ومعرفتهم تصبح مهاراتهم فيما بعد جزءا من التاريخ، والتحدي في بناء الإنسان أكبر من التحدي في المنتج المادي، مما يفترض على المؤسسات التربوية أن تعنى بتطوير المربين والارتقاء بهم[٥٧]، حيث (لا يتصور حدوث تغيير حقيقي في المجتمعات، والانتقال من حال إلى حال أحسن منه، إلا من خلال التربية التي تكوّن القائد أو الموجه الحقيقي للإصلاح، إذ لا يحدث تغيير إلى الأفضل ذي ثبات واستمرار في أحوال المجتمعات، إلا من خلال تغيير ما بالأنفس كما قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...(١١)] سورة الرعد، وتغيير ما بالأنفس تغييرا ثابتا مستمرا في المسار الصحيح، لا يكون إلا من خلال التربية[٥٨])...

ثالثاً: رعاية الطلاب النابهين. خصوصاً الذين يدرسون في الجامعات العربية والإسلامية، فهم من البذور المستقبلية الواعدة لتوطين العمل الخيري والدعوي في بلدانهم، وهم قادة المستقبل الذين يرجى أن يتولوا أمر الأمة الموحدة بأفكارهم..

وتأتي العناية بهم لأننا (إذا تأملنا في اهتمامات مدارسنا وجامعاتنا وجدنا أنها تكاد ألا تعطي أي وزن لقضية تكوين الشخصية المسلمة[٥٩])، وفي المقابل (تأبي الهند إلا أن تقدم نموذجا فذا لما يمكن أن يفعله الإصرار والإتقان ووضوح الرؤية في ظروف بالغة الصعوبة، فقد تبلور لدى قادتها ضرورة إيجاد مؤسسات علمية عالية المستوى، يتولى خريجوها قيادة المسيرة العلمية والتقنية في البلاد، فأنشأت معهد الهند التقني..[وقد استطاع هذا المعهد] إمداد قطاعات المصارف العالمية وخطوط الطيران الكبرى وشركات الحاسب الآلي المتقدمة بأعداد من الموهوبين الهنود، وقد قالت مجلة نيوزويك [إن معاهد التقنية الهندية استطاعت أن تصنع جيلا فذا من خلال تلقيهم برامج دراسية صعبة وذات مستوى رفيع؛ مما جعل خريجيها سادة حل المعضلات التقنية])[٦٠]...

المطلب الثالث: نماذج من مناهج السلف في إعداد القادة.

يحسن بنا قبل أن نستعرض مناهج مفكري المنتدى؛ أن نقف على منهج الصحابة ومن بعدهم في إعداد القادة مما أورده كتاب المنتدى، خاصة وأننا نجد كثيراً من المربين العاملين في المنتدى يتكلمون عن

٥٣- التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان الإصدار الخامس- ص:٣٠٧.

٥٤- التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان الإصدار الخامس - ص:٣٠٧. نقلا عن: التدريب مفهومه وفعالياته- د/ حسن الطعاني- ص: ١٣

٥٥- التقرير الاستراتيجي لمجلة البيان الإصدار الخامس- ص:,٣٠٧

٥٦- الصحوة والتربية المنشودة- ص: ٥٣- ٥٤

٥٧- نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ- لمحمد بن شاكر الشريف- ص: ١١

٥٨- بناء الأجيال- للدكتور عبد الكريم بكار- ص: ٢٠٤

٥٩- بناء الأجيال- ص: ٢٠٦

ضرورة العمل بمنهج السلف في إعداد القادة، وفي نفس الوقت نجد في إصدارات المنتدى ذكر نماذج ممتازة تصلح للتطبيق في كل مكان وزمان، وقد غطت النماذج جيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولكن سأكتفي بذكر نموذجين فقط..

فمن النماذج الممتازة في التربية وتقوية البناء الداخلي للجماعة المؤمنة، ما فعله الصحابة في الشام بعد إكمال فتحها في عهد عمر بن الخطاب τ، فقد كتب إليه القائد يزيد بن أبي سفيان[٦١]: (إن أهل الشام قد كثروا، وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يُعلِّمهم القرآن ويفقههم، فأعنّي برجال يُعلمونهم)...

فانتدب إليه عمر ثلاثة أصحاب هم: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأوصاهم فقال: (ابدأوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يَلْقن، فإذا رأيتم ذلك، فوجِّهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد، ولْيَخْرُجْ واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين)... فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس، أقام بها عبادة بن الصامت، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين[٦٢]...

في دمشق كان أبو الدرداء إذا صلى الصبح، انفتل وقرأ جزءاً، وكان تلاميذه يُحْدِقون به يسمعون ألفاظه، ويقرأون ويتسابقون عشرة عشرة، وكان لكل عشرة منهم ملقِّن، وكان أبو الدرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إليه يعرض عليه.. وفي مرة طلب من أحد تلاميذه أن يحصي له من بمجلس التعليم، فوجد عددهم ألفاً وستمائة ونيّفاً، وهو الذي سن هذه الحلق للقراءة[٦٣]..

هذه القصة تضيء للإخوة الدعاة والقادة طريقهم نحو التربية والبناء الأسري والاجتماعي، ففيها أسلوب التعامل مع الأتباع، وفن توجيه الناس للهدف المراد، وأسس صناعة الصف الثاني في العمل، وغيرها الكثير، فلنتأمل بعض ما تم استنباطه من هذه القصة:

- ✓ من ذلك: توجيه القائد لأتباعه بالبدء لصناعة صف ثانٍ في العمل، وهذه النظرة الثاقبة لعمر τ تؤكد ذلك، ولذا رسم لهم سياسة سير العمل، بانتقاء المميزين من الطلاب، كما في قوله: (منهم من يَلْقن، فإذا رأيتم ذلك، فوجِّهوا إليه طائفة من الناس)، ويأتي التطوير بعد الانتقاء ثم التقييم، كما في قوله: (فإذا رضيتم منهم)..
- ✓ القائد يرسم السياسات ويترك التفاصيل للعاملين؛ فعندما رسم خطة صناعة الصف الثاني؛ لم يحدد من يبقى ومن يذهب كما في قوله: (فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين)، ولهذا يقولون: (القائد ينقش الأهداف على الصخر، والوسائل على الرمل)، إن إعطاء الصلاحيات للأتباع بتحديد الوسائل والبرامج، يساهم في زيادة الولاء...
- ✓ السعي للاكتفاء بالموارد الداخلية في المنطقة؛ فإن التأكيد على الانتقال إلى دمشق وفلسطين، يدل على أهمية الاكتفاء بأهل المنطقة من الموارد البشرية...
- ✓ استمرار بناء الإنسان لذاته، وألا يكون شمعة يحرق نفسه ليضيء للآخرين، فقد كان أبو الدرداء إذا صلى الصبح؛ انفتل وقرأ جزءاً، [وهذا حزبه اليومي يواظب عليه].. فيجب على الدعاة والعاملين في الحقل الخيري -والعمل الإسلامي بعامة- أن يستمروا في التعلم، وتزكية النفس، ومهما وصل إليه الإنسان من العلم؛ فمطلوب منه الاستمرار، ففي دراسة أجريت على تسعين قائداً، تحدث هؤلاء القادة بأن أهم صفة للقائد هي التعلُّم المستمر والله Y يقول: [لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)] سورة المدثر، فكل كائن يكفُّ عن النمو يبدأ في الموت.

٦٠- يزيد بن أبي سفيان: أخو معاوية من أبيه، يقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، كان من العقلاء والقادة الشجعان، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا، اختاره أبو بكر الصديق ضمن قادة جيش فتح الشام الأربعة، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ

٦١- سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٤٤.

٦٢- انظر: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٤٦.

- ✓ التدرج في التعليم، كما في قوله: (فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحوَّل إلى أبي الدرداء يعني يعرض عليه)، حيث لم ينشغل أبو الدرداء بالجميع، بل ينتقل إليه من أحكم الحفظ[٦٤].

أما النموذج الثاني فيصلح أن يكون مثالا يحتذى في سعة الأفق لما تعنيه العناية بالنخب التي يتجاوز تأثيرها آحاد الناس أو حدود الزمان والمكان، وهو تجربة العالم المجاهد التابعي عبد الله بن المبارك رحمه الله[٦٥]، فقد كانت له تجربة تعليمية وعناية بطلاب العلم وقادة الأمة، وكان يرحل للعلم والتعليم والجهاد، فكان إذا دخل بلداً ووجد به ثغراً لزمه ورابط فيه، يعلم أهل الثغر ليلاً ويشاركهم الغزو نهاراً، وإن لم يجد ثغراً جلس للتحديث والتعليم في المسجد... وكان رحمه الله يهتم بالعلماء وطلبة العلم، فكان يدع فقراء بلده وينفق على المحدثين، ومما يذكر عنه أنه كان يعطي خمسة من كبار محدثي ذلك العصر ما يكفيهم نفقة عامهم حتى لا يشغلهم طلب الرزق عن العلم أو التعليم، أو يدفعهم إلى الأخذ من أعطيات الحكام أو الدخول عليهم[٦٦].

المطلب الرابع: رؤية الشيخ فيصل بن علي البعداني[٦٧].

يرى الشيخ حفظه الله وأثابه: (أن القيادة هي عملية تحريك الناس باختيار ورضى نحو الهدف.. فهي قضية متكررة متدرجة، وليست خطوة واحدة يفعلها الإنسان مرة واحدة وينتهي منها، فإنها وإن ظهرت في أحيان كخطوة مفردة فالحقيقة أن وراءها إعداد طويل وخطوات كثيرة.

ولا بد أن تتم بصدق ورضى الآخرين. ولا بد أن يكون هذا التحريك للناس والتأثير فيهم متجه لتحقيق رؤية محددة وأهداف واضحة.

والقائد هو: من له أتباع مخلصون يؤثر فيهم ويقودهم نحو تحقيق أهداف معينة.. فالذي لا يملك القدرة على التأثير في الناس وتحريكهم ليس بقائد... والذي لا يعرف هدفه، ولا يعرف إلى أين يحرك الناس ليس بقائد أيضاً... والقائد شخص مطاع محبوب تدعمه شخصيته قبل رتبته، ولا يتوانى عن التضحية بنفسه في سبيل من حوله وما يؤمن به[٦٨])..

ثم ينتقل للحديث عن أنواع القيادات الموجودة بالبلدان التي يعمل فيها المنتدى الإسلامي، ويصفهم بأنهم أصناف متباينة وكل صنف يستحق نوعا مختلفا من المعاملة والرعاية، كما ينتظر منه دور مختلف عن الذي ينتظر من الصنف الآخر:

أنواع القيادات في البلدان التي تعمل فيها المؤسسة:

القيادات الاجتماعية والرسمية.

كزعماء القبائل وذوي النفوذ السياسي والإداري والتجار ورؤساء الطرق الصوفية وزعماء النقابات والاتحادات والجمعيات المحلية، ومركز هذا الصنف الاجتماعي أو الوظيفي هو الذي منحهم السلطة، ويوصي بالحرص على انتقاء القيادات الدعوية المناسبة للتعامل مع هذه الشريحة.

أصحاب التخصصات الإنسانية:

٦٣- استخرج هذه الفوائد الأستاذ سلطان بن محمد الدويش.. في مقال له بعنوان: [فن القيادة عند السلف الصالح] في مجلة البيان – العدد [٢٢٧] – ص: ٢٤.. وما بعدها،وقد اختصرت نقله وتصرفت فيه بالتقديم والتأخير دون إخلال بالمعنى العام ..

٦٤- عبد الله بن المبارك بن واضح: شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، ولد سنة ١٢٨هـ ، كان مجاهدا ناصحا كريما سخيا مضيافا زاهدا مع وفرة علم ومال، قال عنه أبو نعيم: ما رأيت أعقل من ابن المبارك، ولا أكثر منه اجتهادا، ولما مات قال عنه هرون الرشيد: مات سيد العلماء، وتقبل فيه العزاء. انظر: سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٧٨- ٤٢٠.

٦٥- والعلماء الخمسة هم: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وإسماعيل بن عليّة، ومحمد بن سماك رحمهم الله جميعاً: انظر: سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٨٧.

٦٧ - رئيس اللجنة العلمية بالمنتدى سابقاً، وحاليا مدير منظمة نما لرعاية الطلاب بالخرطوم..

٦٨ - اكتساب القادة بين الأمل والعمل - الشيخ فيصل البعداني- ص: ١.

كرجال التربية والإعلام والإدارة والقانون، وعلماء النفس والاجتماع والتاريخ، وأساتذة الجامعات، والمعرفة المتخصصة التي حصلها هذا الصنف هي التي منحته النفوذ والتأثير.

القيادات العلمية والدعوية:

كالعلماء والقضاة والدعاة، ومسؤولي الجمعيات الخيرية المحلية والدولية، والمعرفة الشرعية الجيدة... وقد منحهم المنهج الذي يدعون إليه النفوذ والتأثير.

ثم يشير الشيخ إلى مصدر العناية بالقيادات المحلية، مؤكدا أن الدعوات المتكررة التي تطلق بين آونة وأخرى-داخل مجالس ولجان المؤسسة المتعددة– مطالِبةً برعاية القيادات والاهتمام بها لا تهدف إلى تكوين رسالة أخرى للمؤسسة أو حتى إقحامها في مجالات عمل جديدة، بل هي تنفيذ لما ورد في خطة المؤسسة الخمسية والتي جاء فيها:

أ) الهدف الأول هو (إعداد الدعاة إعداداً متكاملاً ورفع كفاءتهم العلمية والدعوية والتربوية)، وجاء في وسائل تحقيقه: (اختيار عناصر دعوية متميزة تهتم بتربية الدعاة)... كما جاء في السياسات والإجراءات اللازمة لتحقيق الهدف الأول: (أن يتم اختيار مجموعة من الدعاة المتميزين علميا وتربويا من غير المحليين توكل إليهم مهمة تربية الدعاة المحليين وصقل قدراتهم وتوسيع آفاقهم الفكرية).

ب) نص الهدف الثاني على ما يلي: (تأهيل الطاقات الدعوية القيادية)، وجاء في البيان له: (حيث أن للجوانب الإدارية والقيادية عند الدعاة أهمية خاصة لإدارة النشاط المرتبط بهم، فإن تأهيل الطاقات الدعوية القيادية من التابعين للمؤسسة وغيرهم أمر ضروري).

وجاء في الوسائل المقترحة لتحقيق هذا الهدف: (تكليف بعض المتميزين لإدارة بعض المشاريع وتدريبهم ميدانيا على تحمل المسؤولية)... و(إعداد القيادات العلمية).

كما جاء في السياسات والإجراءات المحققة لهذا الهدف: (الاعتناء الخاص بالطاقات الشبابية المحلية القابلة للتطوير والتدريب، سواء أكانوا في مراكز إدارية حالية، أم يتوقع تكليفهم بذلك مستقبلا) ... و(السعي لإبراز هذه القيادات العلمية في وسائل الإعلام المناسبة).

ج) نص الهدف الثالث على ما يلي: (الاهتمام بالدعوة في أوساط الطلاب والمثقفين)، وجاء في البيان الموضح له: (تعتبر شريحتا الطلاب والمثقفين من أهم شرائح المجتمع، فالأولى: هي مستقبل الأمة، والثانية هي التي تبني تفكيرها؛ لذلك من الضروري الاهتمام بهاتين الشريحتين خصوصا). وجاء في وسائل تحقيق هذا الهدف: (التواصل مع المثقفين وعقد اللقاءات معهم)... وجاء في السياسات والإجراءات المحققة لدعوة المثقفين:

- ✓ حصر العناصر المثقفة من قبل المكتب، مع تمييز اتجاهاتهم وتخصصاتهم لتسهيل التواصل معهم.
- ✓ توفير الوسائل المعينة لفهم الإسلام باللغة التي يفهمهما هؤلاء.
- ✓ إقامة محاضرات يلقيها البارزون منهم.
- ✓ عقد محاضرات يتولاها المكتب لمخاطبة هذه الشريحة.
- ✓ إشراك المثقفين في الأنشطة التي يقوم بها المكتب، وذلك لأجل الاستفادة من إمكاناتهم وزيادة تفاعلهم).

د) نص الهدف الثامن على ما يلي: (التعاون مع الهيئات والشخصيات الإسلامية المحلية والعالمية بالضوابط الشرعية)، وجاء في وسائل تحقيق هذا الهدف: (توثيق العلاقات الاجتماعية مع الهيئات والشخصيات الإسلامية الفاعلة)، وجاء في السياسات والإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الهدف:

- ✓ الحرص على العلاقات الطيبة مع الهيئات والشخصيات الإسلامية وغيرها...
- ✓ دعوة بعض الوجهاء للمكتب وتعريفهم بنشاطات المؤسسة...
- ✓ حصر المؤسسات والشخصيات المهمة في البلد ومعرفة نشاطاتها وعناوينها...
- ✓ تشكيل مجلس استشاري للمكتب في كل بلد من المفيدين للمكتب برأيهم ومواقفهم.

وبعد هذا السياق التوثيقي لبيان أهمية العناية بالقادة الموجودين والقادة الذين يراد إعدادهم، يقدم الشيخ مقترحات لجعل الأمر هدفا لا مجرد أمنية وأمل، إذ لا شيء يفعم القلب بالطمأنينة مثل امتلاك هدف دائم ونقطة محددة يركز عليها المرء عينه الثاقبة التي لا تخطئ هدفها... فالهدف يجر صاحبه نحوه، وينظم قدراته لتحقيقه، والمنتدى الإسلامي لا يعاني في البلدان التي يعمل فيها من قلة الوسائل الخيرة، بل من تفرقها وعدم اتجاهها لخدمة أهداف محددة.

وهدفنا في هذا الجانب –والكلام للشيخ- هو كسب قادة صادقين يخدمون المنهج الصحيح من خلال برامج المؤسسة أو غيرها، ولكي يتحول اكتساب القائد إلى هدف فلا بد من خطة تقود إلى تحقيقه خطوة خطوة...

والخطة لا بد أن تكون مصاغة بعناية، إذ الخطط لا تكون خططا من أساسها حتى تكون هي والأهداف مكتوبة، وما لم تكن كذلك فلن تتجاوز أن تكون مجرد أفكار وأماني متفرقة... وبما أن أقصر طريق للنجاح وأيسره هو القيام بعملية التقليد والمحاكاة للناجحين، فإن من الضروري أن تقوم المؤسسة –يقصد منظمة المنتدى الإسلامي-بدراسة منهج الفاتحين من الصحابة والتابعين الكرام في التعامل مع البلدان التي دخلوها، والتي أظن أن دورهم فيها مر بالخطوات التالية: دعوة فتعليم (التعليم للعمل) فاصطفاء للنوعيات الجديدة فمزيد تعليم لها وتربية..

الرسم التالي محاولة لتقريب فكرة الشيخ البعداني لإعداد القادة[٦٩]..

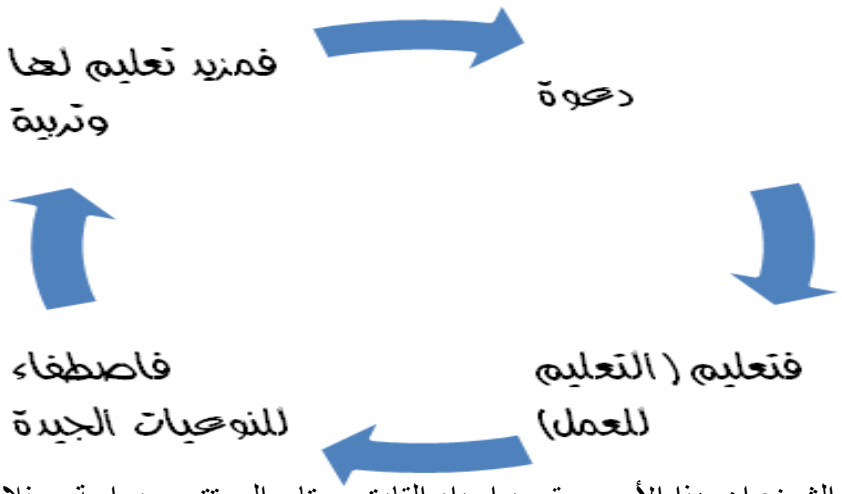

خلاصة كلام الشيخ: إن هذا الأمر –يقصد إعداد القادة- يحتاج إلى تتبع ودراسة... فلا بد من التوازن بين صناعة القادة ورعايتهم، وبين الدعوة والتعليم والتربية.. ولن يحسن التعامل مع الكبير إلا كبير، ولن يكتسب القائد أو يبنيه إلا قائد[٧٠]...

المطلب الخامس: رؤية الدكتور محمد العبدة[٧١].

يرى الدكتور أن قضية تكوين قيادات علمية قضية مهمة جدًّا، وهي إحدى وسائل التغيير المنشود الآن في العالم الإسلامي.. ويرى من الضروري العناية بأبناء الكبراء الذين نشأوا في كنف أسر توارثت الزعامة الاجتماعية أو السياسية، ويعترف بأنه خالف كثيراً من الكتاب الذين يتكلمون عن أن الطبقة المؤهلة دائماً لإحداث التغيير هي الطبقة الوسطى، فلا هي طبقة مترفة مشغولة بأمور الدنيا وملذاتها، ولا هي طبقة

٦٨- الشكل أعلاه أضفته من عندي استئناسا بقول الشيخ: (قضية متكررة متدرجة)
٦٩- اكتساب القادة بين الأمل والعمل - الشيخ فيصل البعداني- ص: ٢٥.
٧١ - رئيس تحرير مجلة البيان السابق.

مشغولة بتوفير لقمة عيشها، فهي الطبقة التي تقرأ وبالتالي تفكر.. والطبقة الوسطى دائما هي المؤهلة لإخراج القادة؛ ويبرر مخالفته لهم لمظنة توارث روح القيادة في أبناء وذوي الجاه والمكانة، ولعل الدكتور استفاد هذه الرؤية الشيخ ابن عاشور في تفسيره، حيث ذكر رحمه الله في تفسير وصف الله Y للسيدة مريم العذراء بأنها: [كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)] سورة التحريم، وأوضح المرَادُ بالْقَانِتِينَ بقوله: (المكثِرُون من العبادة. والمعنى: أنها كانت سَلِيلةَ قومٍ صَالحِين، أي: فجاءت على طريقةِ أُصُولِها في الخيرِ والعَفاف، وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُهُ)[٧٢].. لذلك تجده يقول: (فالذين يأخذون هذا الجانب (النسب لا أهمية له) يتركون الجانب الآخر، وهو أنه في مجرى العادات؛ فإن كرم الأعمام والأخوال مظنة الفضائل، وأنه لا يكون النخل من الحنظل ولا العكس.

وَهَلْ يَحْمِلُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إلا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ؟[٧٣])

ويؤكد على صحة وجهة نظره رغم أن بعض الناس إذا سمعوا قول القائل: (الناس أبناء ما يحسنون) أو قول الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب

أو قول أحد الحكماء: (الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية)... إذا سمعوا هذا يأخذون منه استبعاد الأنساب وعدم الاهتمام بها وأنها لا تدخل في أي تقويم للإنسان..

والحقيقة أن مثل هذا الكلام إنما يؤتى به لمعالجة من يقتصرون على مآثر الآباء والانشغال بذكرها والاكتفاء بها، عن الجد والعمل، ولا شك أن صاحب همة عالية مغمور النسب أفضل من صاحب نسب دنيء النفس.

فلا تعارض بين قوله تعالى: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ۚ (١٣)] سورة الحجرات، وبين السؤال عن معادن الناس قال رسول الله ρ: (الناس معادن في الخير والشر، خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا[٧٤])، وهذا كما في الفرد كذلك في الشعوب والقبائل، فبعض الشعوب لها خصائص معينة، وفيها ميزات يجب أن يستفاد منها، دون إحياء لنعرة عنصرية أو قومية ضيقة[٧٥]...

ومع تأكيده لأهمية العناية بأبناء القادة؛ إلا أنه يؤمِّن على التوسط في انتقاء الطلبة الذين سيخضعون لعملية تعليمية تربوية، فإذا كان الطالب من بيئة غير مترفة أو غير مستضعفة؛ فهو أفضل، ويذكر أنه لاحظ خلال دراسته لبعض المحطات في التاريخ أن القادة والعلماء كانت لهم جذور قيادية في آبائهم أو أجدادهم، ويضرب عددا من الأمثلة لعلماء بارزين كان لهم تأثير كبير على قومهم، ثم يستشهد بالحديث (الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش[٧٦])، وقول الله تعالى: [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا (٥٨)] سورة الأعراف...

ومن بعد يتطرق الدكتور لمسألة نفسية مهمة في إعداد رجال المستقبل وهي التربية على الاعتزاز بالنفس، فلكي تصنع قائدا يجب أن لا تشعره بالمهانة والتحقير، ويستشهد بقول الفاروق τ حين قال: (ألا لا

٧١- انظر التفسير والتنوير: ١٥ / ١٩٤...

٧١- البيت ضمن أبيات للشاعر زهير بن أبي سلمى يقول فيها:

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلَامُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يَحْمِلُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ؟

٧٣- مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة - رقم: ١٠٠٧٦– ٢٦٥/٣..

٧٤- انظر: خواطر في الدعوة لمحمد العبده – بتصرف وتقديم وتأخير - ص: ٧٣.

٧٥- مسند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك τ ٤/ ٢٩ وحديث أبي برزة الأسلمي ٥/ ٥٧٩ وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في الفتح وقال: (وأخرج أحمد هذا اللفظ مقتصرا عليه من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي بكر الصديق بلفظ (الأئمة من قريش) ورجاله رجال الصحيح، لكن في سنده انقطاع) فتح الباري ١٥/ ٦.. وقال في موضع آخر من الكتاب نفسه: (وقد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرو إلا عن أبي بكر الصديق) الفتح ٧/ ٣٥٩

تضربوا المسلمين فتذلوهم[٧٧])، لأن سوْق الناس بالأمر لا يربي قادة أبدا، وكذلك المنة على المتربي والإدلال عليه... كل ذلك يربي نفسية ذليلة مهانة، وأنى لصاحبها أن يكون قائدا[٧٨]... ثم يتطرق -بتوضيح مختصر- للحد الأدنى من الصفات المطلوبة في القائد:

من الناحية العلمية:

وهذه تتعلق بالمنهج: الأخذ بحظٍ لا بأس به من القرآن حفظاً وتدبراً، ومثله من السنة، وإدراك مقاصد الشريعة، مع الإلمام بالعلوم الإدارية وشيء من قضايا السياسة الدولية والواقع.

من الناحية الأخلاقية:

قوة الشخصية وإجادة اتخاذ القرار والكرم، العمق وسعة الأفق والفطنة حتى لا يخدع أو يستغفل.. ويضرب مثالا لذلك بفعل النبي ρ حين أَمّر عمرو بن العاص وخالد بن الوليد-لفطنتهما- مع وجود من هو أفضل منهما من الصحابة ψ[٧٩]...

من الناحية النفسية:

يؤكد على أن تهدف التربية إلى إيجاد الشخصية السوية دون عقد أو وساوس، مع التوازن بين العقل والعاطفة..

وأخيرا:

وحتى لا يصاب القائمون على هذا الأمر الجليل باليأس ثم التخلي عن هذه الفكرة الرائدة؛ ينبههم إلى أنهم مهما بذلوا وتعبوا؛ فقد لا يخرج من المتربيين من هم قادة سوى فئة قليلة جدا.

ويختم ورقته بالإشارة إلى أن هذا المشروع يتمناه ويحلم به كل مسلم، ولكنه يبدي عدم رضاه من بعض الإسلاميين الذين يصابون بالرعب من الشيء الكبير، ويضيعون أحيانا التخطيط الدقيق فجأة بكلمة أو قرار مرتجل!!

كما يبدي مخاوفه من ضيق الأفق مما يؤدي إلى تقزيم المشاريع الكبيرة، بحجة ضعف الإمكانات، ويشير إلى أننا أحيانا نقزّم أنفسنا مع أننا خلاف ذلك.. هذا تعاملنا مع الواقع المحسوس، فكيف مع المستقبل المأمول؟، فأحيانا تتاح للدعوة فرص فلا تقتنص، وقد لا يتكرر مثلها إلا بعد دهر، وربما (يجد المسلمون أمامهم مشروعا كبيرا أو مؤسسة كبيرة، فيتهيبون من إدارة هذا المشروع أو هذه المؤسسة، ويقولون: هل نستطيع ذلك[٨٠]؟)، بينما نجد في الهدي النبوي خلاف ما عليه كثير من قادة العمل الإسلامي، من تهيب العمل الجليل أو تقزيم العمل الكبير، فقد (أراد رسول الله ρ أن يربي أصحابه والمسلمين عامة على طلب المعالي، وعدم الاقتناع بالشيء القليل أو الشيء الضئيل، وأن تكون همة المسلم لا ترضى إلا بما هو أحسن وأكمل[٨١])، وذلك لِمَا ورد في الحديث الشريف: (إنَّ اللَّهَ رضِي لكم مكارم الأَخْلاق، وكرِه لكم سَفْسَافَهَا[٨٢])،

٧٦- في الأصل : (لا تضربوا أبشار الناس فتذلوهم) والتصويب من مسند الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب τ في خطبة له جاء في سياقها: (ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فو الذي نفسي بيده إذاً لأقصنه منه ، فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه ؟ قال: (إيْ والذي نفس عمر بيده إذاً لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله ρ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم)- ١/ ٦٨

٧٧- لعل هذه الرؤية مستقاة من وصية النبي ρ للشباب الذين أسلموا وهاجروا للمدينة وكانوا صغارا فمكثوا بها مدة فلاحظ عليهم النبي ρ تغيرا _ونعم المربي هو- فقال لهم بعد أن سألهم عمَّن ترَكوا في أهلِهم: (ارجعوا إلى أهْليكم فعلِّموهم، ومُروهم، وصَلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، وإذا حَضَرَتِ الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم، ثمَّ ليَؤُمّكم أكبرُكم)- رواه البخاري من حديث مالك بن الحويرث- انظر: فتح الباري- كتاب الأدب- باب رحمة الناس والبهائم- رقم: ٥٨٧١: ١٢/ ٥٠.. وصحيح مسلم بشرح النووي- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب من أحق بالإمامة- رقم: ١٤٨٥: ٥/ ١٤٣، وسنن الدارمي- كتاب الصلاة- باب من أحق بالإمامة- رقم: ١٢٥٥: ١/ ٢٨٦

٧٨- لمزيد تفصيل انظر أخبار سرية ذات السلاسل التي كان أمير الجيش فيها عمرو بن العاص- انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد-٣/ ٣٤٠-٣٤٣. والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية- أ. د. مهدي رزق الله أحمد- ص: ٣٣١- ٣٣٢، حيث يستنبط فوائد فقهية من تلك السرية منها: (في خبر تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما دليلا على جواز تأمير المفضول على الفاضل، إذا امتاز المفضول على الفاضل بصفة تتعلق بتلك الإمارة أو الولاية... فعمرو بن العاص خبير حرب)، وسرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة، وكان فيها جمع من المهاجرين والأنصار تحت إمرته- انظر مختصر سيرة الرسول ρ - ص: ٣٨٣- ٣٨٥....

٧٩- خواطر في الدعوة ٢/ ٥٥

٨٠- خواطر في الدعوة ٢/ ٥٥

ولا تخفى عنايته ρ بهذا الأمر في العبادات، فقد حذر الذين يتأخرون عن الصلاة في الصف الأول، ناهيك عمن يتخلف عن أدائها في المسجد، وكان يرغبهم إلى معالي الأخلاق، ويحبب إليهم علو الهمة، فيقول: (لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عن الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُم الله في النَّارِ[٨٣])، ومن الأمثال المشهورة، إذا أردت أن تكون كبيرا فيجب أن تفكر كبيرا[٨٤]، ومهمة المسلمين كبيرة، إنها الرسالة وحمل الأمانة، ولذلك يجب أن تكون الهمم كبيرة[٨٥].

الخاتمة

وبعد

فهذه خلاصة لأفكار كتاب المنتدى الإسلامي ومفكريه استخلصتها مما كتبوه في إصدارات المنظمة وهي تنبئ عن قدر كبير من الحرص على اجتماع كلمة المسلمين، ليس ذلك فحسب وإنما يضع مفكرو المنتدى خطة لتحقيق الوحدة عمادها ما يلي:

أولاً: أن الانتماء للإسلام فوق كل الانتماءات، فعلى أرباب الجماعات الإسلامية ألا يجعلوا الولاء لجماعاتهم مثل الانتماء للإسلام ويبنون على أساس هذا الحب والبغض والولاء والبراء.

ثانياً: أن تبقى الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة تؤدي دورها على أن تتكامل جهودها، ويكمل بعضها نقص بعض.

ثالثاً: إن المرحلة التي يعيشها المسلمون اليوم هي مرحلة ما بعد الحزبية، بعد أن قامت الجماعات الإسلامية بدورها فيما مضى خير قيام، فالآن جاء دور الانتقال من مرحلة الحركات الإسلامية إلى مرحلة حركة الجماهير التي يعلو فيها صوت الجماهير غير المنتمية، ويبرز دورها الإصلاحي والتجديدي..

رابعاً: الحاجة ماسة لقادة تلتف حولهم جماهير المسلمين، ليقوموا بدور الموحد والمجدد، ولن يتأتى وجود هؤلاء القادة إلا بالتدريب والإعداد، إعداد للمتميزين من أبناء الزعامات التقليدية والعلمية، وتدريب للنابهين من أبناء الطبقة الوسطى..

٨١- غريب الحديث والأثر: ٥/١. والأصل في **السَّفْساف**: ما تَهَبَّأَ غُبار الدَّقيق إذا نُخِل. يقال: سَفْسَفْتُ الدَّقيقَ إذا تَنَخَّلتَه، ثم شُبِّه به الوَتحُ الرَّدِيء من كل شيء، يقال: رجل سَفْسَافٌ ومُسَفْسِفٌ، إذا وصفْتَه برقَّة المُروءة، وكذلك هو إذا وصفتَه بفُسُولة الرَّأي وضَعْف العَقْل. وكلام سَفْسافٌ، وثوبٌ سَفسافٌ إذا كان هَلْهَلَ النَّسج، وهو نَعْت مُطَّرد في كل شيء لم يُحْكَم صُنعهُ. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر- باب السين- ٢/ ٣٧٣- ٣٧٤.

٨٢- سنن أبي داود- كتاب الصفوف- باب صف النساء وكراهية التأخر عن الصف الأول - رقم:٦٧٩- انظر: عون المعبود٢/ ٣٧٥, ومسند الإمام أحمد- من حديث أبي سعيد الخدري - رقم: ١٠٩١٢: ٣٩٥/٣. وسنن النسائي- كتاب الإمامة- باب الائتمام بمن يأتم بالإمام - رقم: ٧٩٣: ٤١٨/٢

٨٣- بحثت عن هذا المثل فلم أعثر له على أصل ولا مصدر فربما يكون من أمثال أمم وحضارات أخرى والله أعلم.

٨٤- خواطر في الدعوة ٢/ ٥٦

وكأي جهد بشري لا تخلو هذه الفكرة من ملاحظات أوجزها فيما يلي:
أولا: تركز الفكرة في خطابها على الجماعات الإسلامية العاملة ولم تعتن كثيراً في خطابها بالحكومات، فكأنما المراد بالوحدة وحدة جماهير المسلمين وليس كل المجتمع شعوبه وأنظمته ودوله.
ثانياً: تعتمد الفكرة على صدق نوايا من تخاطبهم فإذا وجد من بين تبنى الفكرة قادة انتهازيون فيفسدون في لحظة كل جهد قام به المخلصون، وتضيع سدى كل تنازلات قدمها الغيورون.
ثالثاً: اعتماد هذا المشروع على غير المنتمين للجماعات يتيح له فرصةً لمخاطبة أكبر قطاع من المسلمين، وهي فكرة ممتازة سيما لأن الملاحظ أن كثيرا من غير المنتمين أعمق إيماناً وأكثر تمسكاً بشعائر الدين من بعض المنتمين للجماعات الإسلامية، ولكن ستواجه من يتولى هذا المشروع معضلة قلة خبرة غير المنتمين، وهنا سيجدون أنفسهم بحاجة إلى خبرة أرباب الجماعات الإسلامية، فهل سيدخلون في شراكات أو مفاوضات للاستفادة من الطاقات التي صقلها العمل العام على مدى سنين، أم سيخاطبون من يوافقهم الرأي من أعضاء الجماعات مباشرة دون الرجوع إلى قادته؟؟..
أخيراً:
هذا المشروع فكرة ممتازة أرجو أن يعتني بها المسلمون جميعاً، كما أرجو أن توليها الجماعات عناية واهتماماً عسى أن تخرجها من دائرة الانغلاق على الذات إلى الانفتاح على رفاق الطريق وشركاء الهم..

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى